

# هنري برجسون والمعقولات الدينية

دراسة، تحليل، نقد

إعداد: د/ خادم حسين إلهي بخش

بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين، ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم ونهج منهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن هنري برجسون يُعد أحد الأركان الأربعة - كارل ماركس، سيجموند فروند، إميل دور كايم - للفكر الغربي، الذي سطا على الفكر في العالم الإسلامي، وعلى أحد هؤلاء الأربعة يبني كل من يريد نقض الثوابت الإسلامية، بل نقض الثوابت البشرية جمعاء. والمفكرون تجاه أفكار برجسون فيما حَلَفَهُ من أبحاث ثلاثة أصناف:

**الصنف الأول:** مادح يصل بالرجل وبأفكاره عنان السماء، لا يرتضي له إلا رئاسة الفكر الفلسفي الحديث، ولا شك أن الإعجاب بالإنسان يحجب عن المؤلف كل مساوئه، ولا يرى فيه إلا النموذج الأعلى للإقتداء، بغض النظر عما قدمه للبشر من فكر صالح أو فكر فاسد، فهؤلاء يعجبهم كل جديد، حتى ولو كان سُمًّا قاتلاً،

ويمثل هذا الجانب كتاب الفلسفة الحديثة، ويتزعمهم أحمد أمين وزكي نجيب محمود (١) وينضم إلى صفهم معظم المتخصصين في العقيدة والفلسفة، ويمتاز هذا الصنف في كتاباته بأمرين:

١- إدخال المصطلحات الغربية الفلسفية إلى اللغة العربية، كعلامة للقوة والغلبة، وتحسينها في أذهان القراء على أنها سر التقدم والرقي البشري، وحث الناس على الأخذ بها دون شعور.

٢- وجود قائمة المصطلحات الفلسفية الغربية في نهاية كل مؤلف صدر باسمهم، إما بحرفها اللاتيني، أو بالحرف العربي للكلمات اللاتينية.

ولا شك أن مثل هذا المسلك الانهزامي يريد إذابة أمة التوحيد في بوتقة الغرب الملحد، وسلبها قيمها المتوارثة جيلاً عن جيل، ميناها الكتاب والسنة، تُجسد الخير وتمنع الشر، وتقود الإنسانية إلى الفوز والفلاح.

**الصنف الثاني:** درس الفكر الغربي، وشعر منه بانزعاج، ولكنه لا يملك القدرة الكافية على نخل الأفكار وغربلتها، من حيث الصحة والفساد، لذلك لم يصل إلى النقد المطلوب، ولا استطاع تقديم البديل المفيد للبشر، وربما كان الجو المحيط به يُطَوِّقُه بطوقٍ لا يستطيع كسره، أمثال الدكتور زكريا إبراهيم في مؤلفه الشهير: نوابع الفكر الغربي ٣ برجسون.

وتمتاز مؤلفات هذا الصنف بترجمة العديد من الموضوعات النصية، ووضعها في نهاية مؤلفاتهم، كدليل على صدق النقد وصحة ما قاموا به من عمل، ولكن كل ذلك على خجل واستحياء.

(١) انظر قصة الفلسفة الحديثة عدة أجزاء اشتركا في تأليفها.

**الصنف الثالث:** لديه الدراية الكافية عن الفكر الغربي العام، ولكنه لم يطلع على الفكر الخاص الذي يريد نقده، فجاء نقده مبهماً، غير واضح المعالم، ولم يمنع نفسه من أن ينقل نقد غيره بحروفه وجُمَلِه وينسبه إلى نفسه، دون الإشارة إلى المصدر الذي نقل عنه. ولا شك أن هذا الصنف عملة نادرة، كندرة الكيريت الأحمر، فمن هؤلاء الشيخ عبدالرحمن حبنكة الميداني في كتابه الشهير كواشف زيوف، فقد لخص فكر برجسون فقال (ثنائي في فلسفته، يرى أن في العالم اتجاهين متعارضين، هما الحياة والمادة، فالحياة تصعد وتخلق وتجاهد خلال المادة، وتسمو عليها بالزيادة في الخصوبة ودقة التركيب، أما المادة فمتقلبة هابطة مقيدة إلى غير ذلك من الآراء) (١)

### أسباب اختيار البحث وخطته

فبما أن الوضع بهذا الغموض، ومكانة الرجل في الفكر الغربي بهذا الثقل، تُمَثِّلُ أحدَ أركان البيت الأربعة، أضف إلى ذلك أن تبعية الفكر المسلم المعاصر للغرب من المُسَلِّمات التي لا تقبل الجدل، ومطالبة مشاهير المسلمين بتبني المنهج الذي قاد الغرب إلى الرقي المادي أمر نسمعه كل يوم.

كل ذلك قادني إلى دراسة فكر الرجل، دراسة علمية منهجية من كل جوانبها، فقرأت جل كتبه، ولم أعر اهتماماً يذكر لمن كتب عنه، لذا لم أتطرق إلى نقد الناقدين ولا مدح المادحين. وأنحصر عملي في أربعة أبحاث تحوي أفكار برجسون الرئيسية، أتشرف بتقديمها إلى جامعة الطائف لنيل الترقية، وإلى كل من يريد معرفة الحقيقة عن الفكر البرجسوني، وجعلت اعتمادي في كل بحث على نصوص الرجل النصية، حتى أقطع الشك باليقين، وناقشت الأفكار مناقشة علمية هادفة في ضوء المنهج العلمي المتبع في مثل هذا العمل الشاق. فجاء بحثي الأول تحت عنوان ( هنري برجسون وتطور الحياة والإنسان، دراسة، تحليل، نقد) وأتبعته ب ( هنري برجسون ومنبع الأخلاق، دراسة، تحليل، نقد) وجاء البحث الثالث بعنوان ( هنري برجسون ومنبع الدين، دراسة، تحليل، نقد) و كان مسك الختام بعنوان ( هنري برجسون و المعتقدات الدينية، دراسة، تحليل، نقد) ووجود مبحث ( حياة برجسون وعصره) في الأبحاث الأربعة ليس لتكثير الصفحات وإنما لمفاداة نقد المُحَكِّمِينَ من جهة، ومقتضى الاستقلال لكل بحث من جهة أخرى، فجاء هذا البحث الرابع في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: برجسون حياته وعصره.

الفصل الثاني: برجسون ومعتقدات الدين الساكن .

الفصل الثالث: برجسون وعقيدة وجود الله .

هذا وقد راعيت عند ترتيب قائمة المراجع - لتسهيل المراجعة لدى القارئ - ما يلي:

- ١ - اعتبار أُل التعريف زائدة في أسماء المراجع.
- ٢ - جعلت الاسم المشهور على ألسنة العلماء هو العُمْدَة في ترتيب قائمة المراجع، ثم وضعت الاسم الأصلي بين القوسين.

( ١ ) ص ٣٤٧ والنص بجُمَلِه وحروفه منقول من الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٤٥ ، ولم يشر الشيخ إلى المصدر الذي أخذ منه ، بل قدم هذه الخلاصة على أنها خلاصته في دراسته لبرجسون ، ولا شك أن ذلك عمل غير مقبول في الأطروحات العلمية .

- ٣- رتبت قائمة المراجع حسب مكانتها لدى المسلمين فبدأت بكتاب الله، ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم المراجع العامة، ثم المراجع غير العربية.
- ٤- أعطيت كتب السنة مكانة متماثلة دون تفضيل إحداها على الأخرى، لقلّة تعاملي معها في ثنايا البحث.
- ٥- جعلت مراجع البحث مرتبة ترتيباً هجائياً ليسهل التعامل بها عند المراجعة. ترجمت للأعلام الذين لهم صلة مباشرة بالبحث، واستغنيت عن سواهم، خوف الإطالة من جهة، وحفاظاً على وقت القارئ من جهة أخرى.
- وأخيراً لا أدعي الكمال فيما قدمت من الجهد، سلّوأيّ أني بذلت الجهد، وحاولت التعرف على الحق، فما كان صواباً فهو من الله عزوجل، وما كان خطأً فهو مني ومن الشيطان، أسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

#### المؤلف

د/ خادم حسين إلهي بخش  
مدرس العقيدة، والمذاهب، والفكر، والأديان  
بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية  
جامعة الطائف  
يوم الجمعة ٣٠ من ربيع الأول ١٤٣٠ هـ  
٢٧ مارس ٢٠٠٩ م

## مفصل الأول: برجسون حياته وعصره

١. ولادته وطفولته.
٢. نشأته العلمية.
٣. عمله.
٤. مكائته بين أقرانه ومناصبه.
٥. مؤلفاته.
٦. أسلوبه في أبحاثه.
٧. وفاته.
٨. عصر برجسون.
٩. مميزات عصر برجسون.

## ١ - ولادته وطفولته:

تتفق المصادر التي بحثت عن حياة هنري برجسون أنه وُلد في حي بسكال في باريس بفرنسا في ١٨ أكتوبر ١٩٥٩م من أبوين يهوديين، حَمَل والده الجنسية الفرنسية بالاتفاق. بينما تنسب بعض المصادر جنسية أمه إلي الانجليز، ويقوي هذا التوجه لمكثها الطويل في إيرلندا، وتلقّيها تربية إنجليزية (١) ويمكن رؤية هذا الأثر في ولدها هنري، إذ لم يكتب كلمة مشينة تجاه الإنجليز في كل أبحاثه رغم إساءة الإنجليز إلى الفرنسيين. وما زال العداء قائما بين الفرنسيين و الإنجليز حتى هذا اليوم، فرغم إجادة الفرنسي للغة الإنجليزية يَمُتُّ التحدث بها، ولا يعيرها أي اهتمام في الظاهر. ومثل ذلك تجده في الإنجليزي الذي يجيد التحدث بالفرنسية، يمقت التحدث بها ولا يعطيها أي وزن. فأمه البريطانية هي التي أخضعت له ناصية اللغة الإنجليزية، وأشرفت على تثقيفه بثقافتها فلها الفضل بعد الله عزوجل، فيما عاد عليه من الشهرة العالمية لإتقانه الإنجليزية. ولد برجسون في جو استقر فيه إنكار وجود الله، من الباحثين والمكتشفين لسنن الله في الكون (العلوم الطبيعية)، وذلك لمعاداة الكنيسة للعلم المادي والعلماء المكتشفين للسنن الإلهية، التي يُسَيِّرُ الله بها الكون.

ويعود هذا العداء الذي ورثه برجسون إلى ما قبل ولادته بثلاثة قرون، حين قال كوبر نيكوس(٢) وجردانورونو(٣) وجاليليو (٤) بكرؤية الأرض، فاستنتجهم العلمي هز الكنيسة هزاً، إذا وجدت نتائج ما توصل إليه الثلاثة، يعارض ما تدين به الكنيسة، في ضوء نصوص التوراة التي بين أيديهم، فإنها تقول باستواء الأرض، وإنها مركز الكون، وإن الإنسان مركز الوجود.

## ٢. نشأته العلمية:

تلقى برجسون تعليمه الأولى في مدرسة ليسيه كوندرسيه، فما أن أتم تعليمه التأسيسي حتى التحق بمعهد المعلمين العليا، وكانت علامات النبوغ العلمي قد ظهرت على نتائجه التحصيلية، ولاسيما في الرياضيات والعلوم الكونية، فقد فاز بجائزة الرياضيات لمجلة حوليات الرياضة سنة ١٨٧٧م.

ويبدو أن المعهد بطرف خفي وَجَّه برجسون إلى تلقى العلوم الأدبية، رغم ميوله الفطرية إلى الرياضيات والعلوم، لقدرته الفائقة على التحليل وتوجيه المظاهر المختلفة، حتى تنسجم مع التوجه العام الذي يُسَيِّرُ الحياة الأوربية كلها. وجاء تشجيع المعهد لبرجسون بالالتحاق بقسم الآداب عن طريق زملائه المقربين أمثال جان جوريس Jean Jaures وموريس بلوندل M. Blondel واحتفى به أشهر أساتذة الفلسفة في المعهد، مثل أوليه لابرون olle laprune وإميل بوترو E.Botroux.

وهذا ما شجع برجسون على الاطلاع على الآداب القديمة، لاسيما الأدب اليوناني القديم، ولحاجته إلى المال وَظَّفَه المعهد في مكتبته لتنظيم الكتب، وعهد إليه بمنصب أمين المكتبة.

(١) انظر للتفصيل نوايح الفكر الغربي ٣ برجسون ، للدكتور زكريا إبراهيم ص ١٧ .  
 (٢) عالم فلكي بولندي عاش بين عامي ١٤٧٣- ١٥٤٣م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٩٥ .  
 (٣) فيلسوف ايطالي عاش بين عامي ١٥٤٨ - ١٦٠٠م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٦٣ .  
 (٤) عالم فلكي ايطالي عاش بين عامي ١٥٦٤ - ١٦٤٢ م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٩٧ .

ويبدو ممن زار المكتبة في عهده أن الرجل لم يكن مكترثاً بعمله، فقد دخل عليه أحد أساتذته فوجد حوله مئات المجلدات المبعثرة فَلامَهُ على ذلك قائلاً: ( أَلَا تَتَأَلَّمُ نفسك كأمين للمكتبة) فأجاب عنه طلاب المعهد قائلين: (وهل لبرجسون نفس حتى تلومه) (١).

ويظهر أن هذه الفترة هي فترة المزج عند برجسون بين العلوم الكونية، المبنية على التجارب الحسية الملموسة، والآداب المبنية على التجارب النفسية.

وأعظم من تأثر بهم برجسون في هذا المزج مع تعديل يسير في المنهج، هو هيربرت اسبنسر H-Spencer، فقد اقتنعت نفسه بنظرية التطور السبنسرية، وأنها القول الحق الذي لا يجوز تجاوزه، وزاده قناعة بعد اطلاعه على رأي اسبنيزوا، وشوبنهاور وبركلي المقتنعين بالتطور (٢).

هذا وقد نال برجسون شهادة معهد المعلمين (اجرجاسيون) عام ١٨٨١م، وأهلته هذه الشهادة إلى أن يدلى بـدلوه في القضايا الفلسفية المعاصرة، كقضية الزمان والمكان والاستمرار (الدوام اللانهائي).

### ٣- عمله:

ما أن تخرج برجسون في معهد المعلمين عام ١٨٨١م، حتى عُيِّن كأستاذ للفلسفة في بليسيه انجيه (Angers) وبدأت شهرته تتعدى فرنسا، ولنَّيْلُه الترقية عام ١٨٨٣م نقل إلى ليسيه كليرمون Clermont-Ferrand .

وظل الرجل يرتقى في سلم العلم درجة درجة حتى نال درجة الدكتوراه، من جامعة سوربون عام ١٨٨٩م، وكان عنوان رسالته (رسالة في معطيات الشعور المباشرة) وأضاف إليها رسالة فرعية عَنُونَهَا ب (فكرة المحل عند أرسطو) بين فيها سقطات أرسطو بأدلة نفسية. وقد عادت عليه الرسائلان بصيِّتِ عَمَّ فرنسا كلها. وبدأت الأنظار تتجه إليه في الأوساط الجامعية، وكان للصحافة الفرنسية الدور الأكبر في إبراز شخصيته، وإعطائها وزناً أكثر مما يستحقه.

لم يحل التدريس بين برجسون وبين مواصلة البحث، فجاءت باكورة إنتاجه باسم (حريتنا البشرية وصلتها بالآلية الكونية) ويعني بذلك: هل البشر مخبرون أو مسيروون في الحياة العاجلة، واتبعها في سنة ١٨٩٧م ببحثٍ أخذ من وقته أكثر من خمس سنوات، ووسَّمه باسم (المادة والذاكرة). (٣)

وفي سنة ١٨٩٨م نال الترقية الثانية، فَنُؤِل إلى مدرسة المعلمين العليا، وتلمذ عليه أعلام الفلسفة الفرنسيين: مثل هلفاكس Halbwachs، وشارل بلوندل Ch. Blondel، وهنري فالون H.wallon، والبرباييه A.Bayet، وظل الرجل في المدرسة مدة سنتين، ثم اختير في سنة ١٩٠٠م كأستاذ للفلسفة القديمة، في كالج دي فرانس Collège de France، أكبر معاهد فرنسا على الإطلاق، وظل في هذا الكرسي مدة أربع سنوات، وما أن مات جبريل تارد Jabriel Tarde أستاذ الفلسفة الحديثة حتى حل برجسون محله.

(١) انظر نوابغ الفكر الغربي ٣ برجسون ص ١٨ .

(٢) وصلت إلى هذه النتيجة من خلال قراءتي لكتب برجسون المتعددة .

(٣) انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٤٥ .

أكسبه التدريس في الكالج مكانة اجتماعية في جميع طبقات الشعب، فكان يتهافت على محاضراته المثقفون وغير المثقفين، لذيوع صيته في أرجاء المعمورة، وكانت الناس تتدافع بالمناكب للدخول إلى قاعة محاضراته، ولم يكن الكالج يمنع أحداً من الاستماع إليه، بغض النظر عن أنه يدرس عنده أو لا يدرس عنده. وربما أسلوبه الساحر، واستعمال لغة سهلة وضرب الأمثلة الواقعية كانت سبباً لجلب مثل هذا الجمهور، ومن ألقى تلاميذه الذين لازموا إدوارد ليرو Edouard Le Roy، وجاك شقاليه J. Chevalier، وشارك بيجي Charles Peguy. وأهم الموضوعات التي طرقتها في محاضراته في الكالج فكرة الزمان عند القدامى والمحدثين، تطور النظريات المتصلة بالذاكرة والإرادة والحرية، طبيعة الروح، العلاقة بين الفكر والمخ، نظرية التطور، المشكلة الشخصية، تكوين الأفكار العامة...، فكان يعرض الرأي كما هو عند القدامى أو المحدثين، ثم يبدي رأيه فيه إيجاباً أو سلباً نقداً أو تأييداً. فلم يسلم من نقده: أفلاطون وديكار وبروكلي وسبنسر وغيرهم ممن يشار إليهم بالبنان في العالم.

#### ٤ - مكانته بين أقرانه ومناصبه:

انتُخب برجسون سنة ١٩٠١م عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية بالكالج، ثم عضواً بالأكاديمية الفرنسية، مكافأةً لجهوده في خدمة العلم والمجتمع، فذاع صيته وبدأت الطلبات تنهال عليه لإلقاء المحاضرات في دول العالم، ففي ٢٦، ٢٧ مايو ١٩١١م ألقى محاضرتين في جامعة أكسفورد عن إدراك التغيير، و أتبعهما بمحاضرة في مدينة برمنجهام البريطانية في ٢٩ مايو ١٩١١م، تحت عنوان الشعور والحياة، وألقى محاضرة عامة في مؤتمر الفلسفة العالمي ببولونيا سنة ١٩١١م، تحت عنوان الحدث الفلسفي.

وظالبتة جامعة كولومبيا بنيويورك إلقاء دروس عامة تحت عنوان الحرية والروح، أضاف إلى ذلك أن الرجل شارك في الدفاع عن بلده - فرنسا - في الحرب العالمية الأولى، حين لبى دعوة حكومته بالقيام بمهمة رسمية في أسبانيا وأميريكيا، أملاً في بذل الجهود العالمية في إعادة السلم إلى بلاده أولاً، وإلى العالم ثانياً.

وما أن وضعت الحرب أوزارها سنة ١٩١٨م، وتآلفت جمعية الأمم وتكونت لجأها المتعددة، حتى عُرض الأمر على برجسون في سنة ١٩١٩م ليرأس لجنة التعاون الفكري التابعة لها، فبادر بإجابة الطلب، فأدار جلساتها المتكررة بحنكة وبصيرة، وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٥م، فأجبرته صحته على التنازل عن رئاسة هذه اللجنة، ولعل جائزة نوبل في الآداب التي نالها سنة ١٩٢٨م أدخلت إليه بعض السلوان، ورفعت عنه كابوس المرض - ولو لبعض الوقت - الذي ألزمه الفراش. (١)

#### ٥ - مؤلفاته:

يجزم الباحثون أن أول مؤلفات برجسون الرئيسية، ظهر على الملأ جاء تحت عنوان (الزمان والإرادة الحرة) وظهر في الأسواق سنة ١٨٨٨م، وإن كنت لا تُعَدُّم أبحاثاً ومحاضرات مختصرة سبقت هذا المؤلف بزمن غير يسير. وقد ناقش فيه فكرة الزمان والمكان وصلتهما بدوام الحياة، وكان كتابه هذا توطئة لأطروحة

(١) انظر للتفصيل نوابغ الفكر الغربي ٣ برجسون ص ٢٤ - ٣١ .



الدكتوراه (رسالة في معطيات الشعور المباشرة)، وفيها حاول الفصل بين الزمان والمكان وإعطاء كل منهما أوصافاً محددة ، كثيراً ما خلطَ الفلاسفة بينهما، واختصت رسالته الفرعية (فكرة المحل عند أرسطو) ببيان سقطاته في تحديد المكان والأوصاف الخاصة به.

وفي الرسالتين يحاول الرجل حل معضلة المادة الجامدة، ومصارعة الحياة لها بالتححرر، لذا اختار عنوان رسالته الأساسية عند طبعها الانجليزية عنوان (الزمان والحرية).

وظهر كتابه (المادة والذاكرة) سنة ١٨٩٧م، حاول فيه برجسون الجمع بين حرية العمل الذي يقوم به الإنسان وبين الآلية الكونية التي تسيّر عليه المادة. ولا شك أن كتابه هذا أعقد كتبه على الإطلاق لفظاً وفهماً وتقديماً للمعلومات، لذا لم ينل من النجاح ما ناله (الزمان والحرية).

ويبدو من كتابه (الضحك) المختص بالهزل والهزء، أنه جاء كرد فعل لرفض الجمهور أسلوبه المعقد، فقدم كتابه الضحك سنة ١٩٠٤م، وحلل فيه ظاهرة الضحك، وبين أسبابها والعوامل التي تكمن وراء هذا الانفعال، وتقدم إلى الجمهور بما يتناسب مع عقليته، بضرب الأمثلة الواقعية المتداولة آنذاك، من الممثلين والممثلات والمسرحيين والمسرحيات، ويعد كتابه هذا ذات خمس و ثلاثين ومائة صفحة أسهل كتبه على الإطلاق (١).

وظهر كتابه (التطور الخالق) الذي اكسبه المكانة العالمية بين العامة والعلماء سنة ١٩٠٧م، وحاول فيه حل مشكلة الحياة، وبداية ظهورها، والمراحل التي مرّت بها، حتى استقرت على ما هي عليه الآن، ولاقى كلامه في هذا الكتاب صدى في النفوس الممتلئة غيظاً ضد الكنيسة، فنال الشهرة المطلوبة (٢).

ومما زاد في شهرته أن الكنيسة الكاثوليكية: أدرجت كتب برجسون ضمن قائمة الكتب الممنوعة كنسياً، وحرمت قراءة كتاب التطور الخالق، لأنه يقود إلى الإلحاد و إنكار الخلق المباشر من الله عزوجل، وكان ذلك سنة ١٩١٤م.

وظهر كتابه (معني الحرب) سنة ١٩١٥م، وذلك عقب نشوب الحرب العالمية الأولى، التي كانت فرنسا أولى ضحاياها، وحاول فيه تحليل ظاهرة الاعتداء والعوامل التي تكمن وراءها، وفيه يُسلّى نفسه بانتصار القيم والقوى الأخلاقية.

أما كتابه الطاقة الروحية فهو عبارة عن محاضرات ألقاها في العديد من الجمعيات والجامعات، وأبحاثٍ نشرها في العديد من الدوريات، وندوات شارك فيها بمقالٍ تحت عنوان معين.

ويبدو من تصدير الكتاب بمحاضرة هُوكسلي التي ألقاها في جامعة برمنجهام، في ٢٩ مايو ١٩١١م ولاءه التام لمنهج ذلك العصر، الذي جزم بأن الله لم يخلق الخلق بجميع فئاته، وإنما جاء الخلق عن طريق التطور، في فترات متلاحقة امتدت إلى ملايين السنين (٣).

وجاء كتابه (الديمومة والثاني) سنة ١٩٢٢م، كعرضٍ ومناقشةٍ لنظرية إينشتاين للزمان ودوامه النسبي المنتهي إلى أمِدٍ محدد، وعارضه برجسون في انتهاء الزمان ونهايته في ضوء نظريته في الزمان، وأنه غير منتهٍ ولا نهاية له.

وأما كتابه (الفكر والمتحرك) الذي ظهر سنة ١٩٣٤م، فهو كتابٌ مُحدّدٌ لمنهج برجسون في

(١) وقد قرأته من ألفه إلى يائه .

(٢) وقد قرأته من ألفه إلى يائه ، واستشهدت به في بحثي (هنري برجسون وتطور الحياة والإنسان) فصل : برجسون وتطور الحياة .

(٣) قد قرأت كتابه هذا كاملاً ، واستشهدت به في مواضع من أبحاثي .

كل ما كتب، إذ عَرَضَ فيه التطور الذي ارتضاه لنفسه، وقواعد المنهج الحَدَسِي الذي وضع أسسه، كما حوى كتابه هذا بحثه الموسوم (المدخل إلى ميتافيزيقيا) الذي حاول فيه إقناع القارئ بفكره، من أن التجربة ونتائجها لا ينحصران في العلوم التجريبية، وإنما يوجدان أيضا في العلوم التي لا تدخل المعمل (١).

وجاء أشهر كتبه (منبع الأخلاق والدين) الذي ظهر على الملأ سنة ١٩٣٢م، ليضع ختم الاعتماد على المنهج الذي سعى برجسون إلى بثه بين الناس، بعُلبٍ مختلفة الألوان والأذواق. إلا أنها جميعاً تهدف إلى شيء واحد وهو الذي تراه في أبحاثي الأربعة.

## ٦- أسلوبه في أبحاثه

يعد العلماء هنري برجسون من المكثرين في الكتابة، يملك خيالاً خصباً وقدرة على التحليل قَلَّ ما أعطى غيره مثلها، فبحثه عن (المادة والذاكرة) خير مثال على ذلك، يتمتع الرجل بسعة الاطلاع على الحضارات القديمة، كالحضارة الهندوسية والفرعونية والبوذية والكنفوشية... ويمتاز فكره بأمر أهمها:

أ- كثرة التكرار، و لربما كرر المعنى الواحد في الصفحة الواحدة ، ولا شك أن ذلك غير محمود في الأبحاث والمقالات العلمية. لأن ذلك يقود القارئ إلى الملل وقطع المشوار في منتصف الطريق، دون الوصول إلى الهدف المنشود.

ب- المفروض في الباحث أن يقدم المعلومة إلى القارئ في صيغة الجزم دون تردد، إلا أن ذلك شبه مفقود في أبحاث برجسون، يقدم الفرض ثم ينقده، ويتبعه بفرض آخر ثم ينقده، وهكذا دواليك، حتى يأتي إلى ذكر الفرض الأخير ويتركه دون أن يبين رأيه فيه سلباً أو إيجاباً، لذلك لا يخرج القارئ بنتيجة حتمية لرأي برجسون، ومن هنا نجد الباحثين عند تحديد رأي برجسون يقدمون الفرض الأخير غير المنقوض، وينسبون إليه، ويجزمون بأنه رأيه.

ت- يحترم برجسون الرأي المخالف ويلتزم الأدب عند النقد، وما رأيت له جملة جرح بها شعور غيره، ونقده في الأعم الأغلب للبناء وإتمام نظريته لا للنقد فحسب، لذلك نال إعجاب أعدائه قبل أصدقائه، وأطروحته للدكتوراه خير شاهد على ما أقول: فقد نقد أرسطو، إلا أن نقده نقد متمم للقضايا التي تطرق إليها برجسون في النقد.

ث- أسلوبه في القضايا الفلسفية اليونانية غامض غموض اليونان، لا يستطيع القارئ العادي أن ينال منه بغيته، وما كتبه في قضايا علم النفس أيسر منالاً، يستطيع القارئ نيل المطلوب بجهد يسير، أما ما كتبه عن القضايا الغيبية وأمور الدين والأخلاق فإن الوضوح ميزته، وإقناع القارئ بضرب الأمثلة واضح فيها وضوح حرارة الشمس، لكل من يملك خلايا الإحساس بالحرارة.

ج- لم يرفع برجسون قلمه للكتابة في موضوع، إلا بعد أن اطلع على كل جزئية من جزئياته المتاحة، ربما استغرق منه ذلك عقداً من عمره، لذلك تجده يتحدث في العمق والأساسيات، فما أخرج كتابه التطور الخالق إلا بعد دراسته للأبحاث المتداولة في

(١) رغم عرضه لهذا المنهج لم يرتضه تجاه وجود الله كما تراه في فصل : عقيدة وجود الله .

زمنه، ولاسيما في علم الأحياء، فجاء نقده في العمق والجزئيات لا في العموميات والمظهر الخارجي، لذا لا أعدو الحق إن قلت أن كتب برجسون كلها للعلماء وأهل التخصص، ما عدا كتابه منبعا الأخلاق والدين.

## ٧- وفاته

عَمَّرَ برجسون طويلاً، فقد لَبَّى داعي الأجل في ٤ يناير سنة ١٩٤١م، وكان عمره آنذاك إحدى وثمانين سنة، وتختلف الرواية في الديانة التي مات عليها، فمن قائل بموته على الإلحاد ونكران الإله، وقائل بموته على النصرانية الكاثوليكية.

ويستند القائلون بموته نصرانياً إلى أمور منها:

١- كتبت الصحفية ريشا مارتين بعد وفاته بثلاثة أيام توبنه مخبرة: إن برجسون قد نَعَمَّدَ، واغتسل غُسل المعمودية، وإن الخبر ظل في طي الكتمان حتى هذا اليوم، دون أن تحدد يوم تعميده ومَن القسيس الذي عَمَّده. (١)

٢- نشرت زوج برجسون وصية زوجها المحررة في فبراير ١٩٣٧م، يعلن فيها انضمامه الأدبي إلى الكاثوليكية، وَيَعُدُّهَا الصورة المكتملة لليهودية السامية.

٣- طلب برجسون في وصيته السابقة: أن نستقدم أسرته عند موته قسيساً كاثوليكياً للصلاة على جثمانه (2).

ويعتمد القائلون بموته على الإلحاد على أمور منها:

١- نجد في الوصية السابقة أن الرجل أعلن انضمامه الأدبي إلى الديانة الكاثوليكية إلا أنه نص على (عدم رغبته في تحقيق الخطوة النهائية للانضمام إلى الكنيسة وتَقَبُّل طقس التعميد)

٢- علل برجسون في وصيته عدم قبول التعميد قائلاً: (حتى لا يتخلى عن أولئك الذين سيقع عليهم العذاب والاضطهاد من بني جنسه) (٣)

إذن لن يتخلى عنهم عند موته، وهذا ما حصل، فلم نر ما يناقض هذا الاعتماد الكتابي الموثوق.

كل ذلك حقٌّ وثابتٌ، إلا أنه عند النظر إلى دراسة ظروف المرض، التي لازمت برجسون مدةً طويلةً، والعمر المديد الذي تجاوز ثمانية عقود، وَهُنَّ القوى البشرية في مثل هذا العمر، وتخلي الأسرة من الأبناء والبنات عن المعمرين في المجتمع الغربي المادي، وإحالتهم إلى دُور العجزة والمسنين، وحاجة المُسنين إلى المواساة والسلوان، ووجود الحظ الأوفر منهما في الدين، ويقين المعمر بموعد الرحيل العاجل، وطلب برجسون نفسه استدعاء قسيس يصلي على جثمانه.....

كل ذي يقودني إلى موته على الديانة النصرانية الكاثوليكية، رغم سعيه الحثيث في العقود الستة من عمره على نشر الإلحاد، خدمة لبني جلدته من اليهود وبني صهيون.

## ٨- عصر برجسون

(١) انظر Raissa Maritain: Henri Bergson Souvenirs, in Bergson Neuchatal, 1943,p356

(٢) أنظر نوايغ الفكر الغربي ٣ برجسون ص ٣٠ .

(٣) CF. La Gazette de Lausanne du 29 Septembar 1941 Une lettre de M me Henri Bergson

يُعدُّ العصر الذي عاش فيه برجسون، نهاية الصراع بين العلوم التجريبية والعلوم المنزلة من عند الله عز وجل، في الكتب الإلهية الممثلة في الكنيسة ورجالها في الغرب، ويعود امتداد هذا الصراع إلى القرن السادس عشر الميلادي وما بعده، حين قال كوبرنيكوس و جردانوبرونو وجاليليو بكروية الأرض ونفوا أن تكون مركزاً للكون.

واستنتاجهم العلمي هز الكنيسة وما تدين به هزاً، إذ وجدت أن ما توصل إليه الثلاثة يناقض ما تدين به الكنيسة، لأن التوراة - التي يجب على رجال الكنيسة الإيمان بها قبل إيمانهم بالأنجيل - تقول: إن الأرض مستوية أي مسطحة، وأنها مركز الكون، وأن الإنسان مركز الوجود. فخافت الكنيسة أن تُفقد سلطانها إن صدقت العلماء، فأخذت في مطاردتهم ومطاردة كل من يحاول المساس بما تدين به الكنيسة، فقد كان العلماء يعارضون الكنيسة وديانتها، بنتائجهم المادية العملية، واشتد الصراع بينها وبين العلماء التجريبيين، حين ادعى دارون(١) بوجود المخلوقات عن طريق التطور، وأن الله لم يخلق شيئاً و(إن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق) و(إن تفسير الحياة وتطورها بإرجاعها للإرادة الإلهية، يكون بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحث) (٢).

ففي بداية الصراع تعاطف الناس مع الكنيسة، وعارضوا نتائج العلم، إلا أن هذا التعاطف لم يكن مبنياً على أسس دينية سليمة، لذا أخذ الناس بالتخلي عنه، والتحول إلى العلم والعلماء، وبالتدريج أخذت كفة الكنيسة تخف، وكفة العلم التجريبي تترجح، لأن ما تقدمه الكنيسة من المعلومات يتعارض مع واقع الحياة، فعصر برجسون هو عصر النزعات الأخيرة من حياة الكنيسة وديانتها.

ولم تعد الكنيسة تملك من توجيه الناس شيئاً، سوى أن تطردهم من رضوان البابا، وضم الكتب التي تخالفها إلى قائمة الكتب الممنوعة، التي يحرم قراءتها.

#### ٩- مميزات عصر برجسون

يمكن حصر مميزات هذا العصر فيما يلي:

- ١- حصر العلم والمعرفة في التجربة والمعمل الماديين.
- ٢- إنكار المعلومات التي لا تدخل في أنبوب المعمل.
- ٣- فصل الدين عن الحياة، وانتشار العلمانية بين جميع طبقات الشعب، وفقدان الكنيسة مصدرية التوجيه لممارسة أعمال الحياة اليومية.
- ٤- حصر الأعمال لرجال الكنيسة في إقامة طقوس يوم الأحد.
- ٥- إنكار المعتقدات الغيبية بجميع صورها وأشكالها، بدءاً من وجود الله عز وجل و انتهاءً بوجود يوم العرض والحساب والجنة والنار، ومن يثبتها منهم يحاول إثباتها في هذه الحياة العاجلة، في صورٍ يمكن قبولها عقلاً.
- ٦- تقديم آراء ومقترحاتٍ سخيفةٍ قد تصل إلى الخَبَال، تحت شعار العلم التجريبي، الذي سيتطور لاحقاً، فيَصِل إلى تلك الغاية المُخَيَّلَة المنشودة، كتطور حياة الإنسان لتصبح دائمة خالدة، فينتفي الموت إلى الأبد، وناقشت ذلك في بحث ( هنري برجسون وتطور

(١) عالم بيالوجي عاش بين عامي ١٨٠٩-١٨٨٢ م . أنظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٧٤ .  
(٢) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص ٩٤-٩٥ .

الحياة والإنسان) فصل: برجسون والنظريات الممهدة للتطور.

٧- استسلام الكنيسة وقبول الانهزام العام، أمام العلم المادي ومن يرتدى رداءه.  
٨- توجيه المراكز العلمية والعلماء البارزين من قبل اليهودية العالمية، التي تتبنى خطة نزع فكرة الله من عقول غير اليهود، تحقيقاً للمبدأ الذي نصت عليه في بروتوكولات حكماء صهيون ( لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله وعلى الأخوة والإنسانية...، إن الناس المحكومين بمثل هذا الإيمان، سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم (هيئاتهم الدينية) وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة، تحت إرشاد أئمتهم الروحانيين، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية) (١).

٩- إنشاء نظريات باسم العلم تناقض الموروث الكنسي، بغض النظر عن الصحة أو الفساد، وتخل محله، لسد الفراغ الذي أحدثه النقض، تقول بروتوكولات حكماء صهيون (لاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونييتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد) (٢).

١٠- كانت الصحافة هي التي تمسك أزمة التوجيه والإرشاد، بعد أن سلبته من الكنيسة ورجالها، من الرهبان والقساوسة، وقد تمكن اليهود من الوصول إلى كرسي رئاستها، بالتأسيس للصحف الجديدة حيناً، وبشراء المشتته منها أحياناً أخرى، وما تزال كذلك حتى هذا اليوم، وازداد الوضع سوءاً بتعدد وسائل الإعلام: من الراديو والشريط والقنوات الفضائية والانترنت، وكلها مملوكة لليهودية العالمية، بطريق مباشر أو غير مباشر.  
١١- تقديم الاستدلال التجريبي على سائر الأدلة، وإقناع الناس بأن حكمه هو الصواب، وأن كل دليل لا يقوم على التجربة فهو دليل باطل، لا يجوز قبوله ولا الركون إليه.

(١) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ص ١٢٠ ترجمة محمد خليفة التونسي .  
(٢) المصدر السابق ص : ١١٢ .

## الفصل الثاني: برجسون و معتقدات الدين الساكن

تعريف العقيدة.

منبع المعتقدات في الدين الساكن، ومناقشته.

نفي النبوة ومناقشته.

نفي نزول الوحي، ومناقشته.

نفي التقدير الإلهي، ومناقشته.

مفهوم الشرك، ومناقشته.

الطبيعة تحيي وتميت، ومناقشتها.

نفي وجود يوم القيامة، ومناقشته.

نفي الحياة الآخرة، نعيمها وعذابها، ومناقشته.

### تعريف العقيدة

كلمة العقيدة مأخوذة من فعلٍ حروفه عَقَدَ يَعْقِدُ عَقْدًا، وتعني اللزوم والتأكيد والاستيثاق والجزم، فمن ذلك قول العرب عَقَدَ الحبل أي شد بعضه إلى بعض، واعتقد الشيء إذا صَلَبَ واشتد، وبمعنى التأكيد ورد قول الحق تبارك وتعالى: ( لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ) (١) والعقود أو ثقت العهود قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ) (٢)

والعقيدة: (الحكم الذي لا يُقْبَلُ الشك فيه لدى معتقده...، كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل) (٣) والعقيدة اصطلاحاً: هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريبٌ ولا يخالطها شك. (٤)

### منبع المعتقدات في الدين الساكن

تبرز المعتقدات إلى حيز الوجود كرد فعلٍ دفاعيٍ تقوم به الطبيعة مُقاومةً لهدمٍ ينبع من العقل، وتظهر هذه المقاومة في صورٍ وآراء تمنع المضي في الهدم، وينتج عنها الأمان من الخوف ( أصل المعتقدات التي أتينا على دراستها، إنما هو رد فعلٍ دفاعيٍ تقوم به الطبيعة، محاربة لِتَنبِيْطِ مصدره العقل، ورد الفعل هذا يثير في العقل ذاته صوراً و آراء، تُفْنِي التصور المثبط أو تمنعه من أن يصير إلى فعل، فنرى كائناتٍ تنبثق، وليس من الضروري أن تكون شخصيات تامة، بل يكفي أن يكون لها نيات، بل أن تكون هي نيات. فالاعتقاد إذن يعني في جوهره الثقة، وأصله الأول ليس هو الخوف، بل الأمان من الخوف. ) (٥)

وتتكشف هذه الثقة عند المتحضرين، وتتضخم وتتعدد عند غير المتحضرين، وكان المفروض أن تتقهقر كتقهقرها لدي المتحضر، لِتَقْدُمُ العلم المادي، ولكننا نراها تجور على المنطقة المخصصة للعمل الآلي، وتعطى لنفسها مكانة ينبغي نبذها من البشرية جمعاء. (٦)

### مناقشة منبع المعتقدات في الدين الساكن

قول برجسون في معتقدات الدين الساكن أنها رد فعلٍ دفاعيٍ مناهضٍ لما يقوم به العقل من الهدم، ربما أمكننا قبوله فيما يخص الدين المحرف ومعتقداته، مع عدم الحصر في هذا المصدر، لذا فقد نجد أفراداً من البشر أصيبوا بخوف نتيجة التفكير العقلي المحض، فأتجهوا إلى التفكير المضاد، فخرجت مثل هذه المعتقدات المُخْجَلَة، التي تعد عاراً في جبين الإنسانية. أما حصرها في هذا الرافد وحده فأمرٌ فيه نظر، لأننا نجد أفراداً يمتثلون لمثل هذه المعتقدات

(١) سورة المائدة ، آية : ٨٩ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١ .

(٣) المعجم الوسيط مادة عقد ج ٢ ص ٦٢٠ .

(٤) العقيدة في الله للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٩ .

(٥) منبع الأخلاق والدين ، لهنري برجسون ١٦٤ - ١٦٥ .

(٦) انظر منبع الأخلاق ، ص ١٧٦ .

مع عدم وجود الفكر الهادم، كمن يمتثل تقليداً لغيره، فالتقليد وإتباع الأفضل أمرٌ ملموسٌ في البشر، وهو فطرة لا يستطيع الإنسان التخلي عنها، لذا كثيراً ما تنتقل المعتقدات عن طريق هذا الرافد.

ومن هنا حذر القرآن الكريم عن التقليد الأعمى، المبني على غير وعي، وعده ضلالاً وتيهياً، ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (١)

أضف إلى ذلك أن للتربية دوراً بارزاً في اعتناق المعتقدات غير السديدة، فقد يُعوِّد الصغير على تلقى عقيدة، دون أن يشعر بمحتواها، وما تحمله من فكرٍ فاسد، مع أن الأصل سلامة المعتقد في أمثال هذه الأغصان الغضة، وإلى مثل هذا الفساد المنبعث من الآباء والأمهات جاء التحذير النبوي، (ما من مولودٍ إلا يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم) (٢)

ربما أضاف غيري إلى هذه المصادر الثلاثة – العقل والتقليد والتربية الفاسدة - مصادر أخرى للمعتقدات المحرفة، لأن الانحراف غير محصور في أفرادٍ أو زمنٍ معين، فهو عرضة للتجديد والتنوع، حسب رغبة الإنسان وحاجته.

أما معتقدات الدين الحق فمصدرها محصورٌ في الله عز وجل، فلا يُجيز هذا الدين تبنى معتقداتٍ لم تنزل من عند الله، لذا جاء النهي الإلهي على لسان رسوله بعدم الزيادة فيها، وأن من زاد فزيادته مرفوضة مردودة، (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) (٣)

وتنحصر طريقة تلقّيها في إتباع آخر الرسل محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) (٤) ولا يوجد مثل هذه المعتقدات السليمة اليوم إلا في كتاب الله، أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بحث عنها في غير هذين المصدرين فقد ضل السبيل، وسلك طريقاً لا يقود إلى المطلوب، وأهم هذه المعتقدات التي تحدث عنها برجسون هي:

### أولاً: نفي النبوة

ينفي برجسون الاختيار في النبوة على استحياء، فلا يجزم بالنفي القاطع، رغم أنك تجده يساوي بين النبي والفيلسوف، وأن الفلسفة نذٌ للنبوة، ويشجع حلول الأولى مكان الأخيرة، لذا تجده يمدح الفلاسفة اليونانيين، وما قدموه من أفكار نبوية إلى البشر - على حد قوله - ولاسيما أفكار سقراط. (٥)

ويصل به التشكيك في النبوة إلى حد التردد في وجود عيسى ابن مريم عليه السلام، وهل هو حقيقةٌ أو محض شخصية تاريخية خيالية، أنتجت الوظيفة الخرافية، ( فحتى إذا أنكرنا وجود المسيح فإن هذا لا يحول دون وجود خطبة الجبل، وآياتٍ دينية أخرى في الإنجيل، وكأننا من كان

(١) سورة الزخرف، آية: ٢٣.

(٢) رواه البخاري . كتاب التفسير (سورة الروم) باب لا تبديل لخلق الله فتح الباري ج ٨ ص ٥١٢ .

(٣) رواه البخاري . كتاب الصلح باب إذا اصطحوا على صلح جور فتح الباري ج ٥ ص ٣٠١ .

(٤) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٥) انظر منبع الأخلاق، ص ٧٠ .



المؤلف فالمهم أن قد كان مؤلف).<sup>(١)</sup>

### مناقشة نفي النبوة

ويكفينا في رد هذا الافتراء و التردد أن القرآن الكريم يجزم بالاصطفاء، وأن النبوة اختبار إلهي بحت، لا يستطيع الإنسان نيلها بالجهد البشري، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> وينفي أن يكون للرغبة البشرية نصيب من النيل والحصول، بل يحصر كل ذلك في إرادة الله عز وجل، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

والفرق بين تعليمات الفيلسوف وبين المبعوث من عند الله، أن تعليمات الأول تقدم المعرفة إلى الناس ولا تطالب بالعمل، بينما المبعوث يقدم المعرفة ويطلب البشر بتنفيذها على أرض الواقع في صورة عمل ملموس، لتحصل لهم السعادة في الحياة العاجلة والحياة الآخرة.

### ثانياً: نفي نزول الوحي

يقطع برجسون من منظور فلسفي عدم وجود الوحي، وينفي الجهات التي تأمر بإنزاله، ولا يعترف بتاريخ بشري نزل فيه هذا الوحي، فكل ذلك في نظره لا يستحق الاعتناء، ولا التصديق به ( لأن الفلسفة لا تعبا بوحى نزل في تاريخ معين، ولا بالمؤسسات التي تبلغ الوحي، ولا بالإيمان الذي يقبله).<sup>(٤)</sup>

### مناقشة نفي نزول الوحي

سبق أن ذكرت في البحث الأول - هنري برجسون وتطور الحياة والإنسان - أن الوحي أوثق مصدر يقدم المعرفة إلى الإنسان، وأنه يفوق التجربة في تقديم المعرفة، فالإنسان مخلوق لله عز وجل محتاج إلى هدايته، لتسهل له أمور الحياة على هذه الأرض، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا الوحي، فإنه الوسيلة الوحيدة لاتصال الإنسان بربه.

ويعرفه علماء الشرع بقولهم: هو الإعلام بأمر الله وشرعه بطريقة من طرق الوحي المعهودة، وقد حصرها القرآن الكريم في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

والكتب الإلهية بغض النظر عن صحتها من تحريفها تشهد بوجود هذا المصدر المعرفي، وإنه وسيلة التعرف على أمر الله إلى بني آدم، فهي التوراة العبرية تروى قصة نوح عليه السلام وركوب السفينة وأخذ البهائم، فتقول (قال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لأنى إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل، من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى، ومن الطيور أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى، لاستبقاء النسل على وجه الأرض، لأنى بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الأرض أربعين يوماً

(١) منبع الأخلاق، ص ٢٥٦.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٥.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٣١-٣٢.

(٤) منبع الأخلاق، ص ٢٦٧.

(٥) سورة الشورى، آية: ٥١.

وأربعين ليلة، وأحو عن وجه الأرض كل قائم عملته، ففعل نوحٌ كل ما أمره به الرب) (١) ويفتتح سفر اللاويين محادثة موسى مع ربه، فيقول: (دعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً: كلم بني إسرائيل، وقل لهم إذا قرب إنسان قرباناً للرب من البهائم، فمن البقر والغنم تقربون قربانكم، إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحاً يقربه، إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه، للرضا عنه أمام الرب) (٢) ويخبر إنجيل متى عن يحي عليه السلام، واستمراره في الدعوة إلى الله في بني إسرائيل، وطلبه منهم التوبة إلى الله، وأن ذلك هو طريق الله المستقيم الذي أمره به، ( وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية، قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات، فإن هذا هو الذي قيل عنه بأشعيا النبي، القائل: صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة) (٣).

ومن هنا استطيع أن أجزم أن هذا المصدر المعرفي عرفته البشرية منذ وجودها، ولا سبيل إلى إنكاره مهما كان المنكر، فإن إنكاره غير مقنع، مثله في ذلك مثل من ينكر وجود الشمس الطالعة، في وضح النهار مع وجود الضوء و الحرارة. وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

### ثالثاً: نفي التقدير الإلهي

يتبنى برجسون وجهة نظر المعتزلة في تقدير الله للأشياء قبل وجودها، فينفي أن يكون هناك شيء مقدراً قبل الوجود الفعلي، بل الأمر أنف لا مجال لإثبات وجوده قبل وقوعه على أرض الواقع، ( وقد يتردد المرء أيضاً في قبول ذلك، إذا كان يرى ظهور كائن كالإنسان قادر على أن يُحب ويُحَب، من بين الحيوانات والنباتات، التي تعمر الأرض أمراً عرضياً، ولكننا بينا أن هذا الظهور وإن يكن مقدراً من قبل، فإنه ليس بعارض، ورغم أنه كان ثمة خطوط أخرى للتطور، غير الخط الذي ينتهي إلى الإنسان) (٤)

### مناقشة نفي التقدير الإلهي

تتفق الكتب الإلهية الموجودة بين أيدينا، وعلى رأسها القرآن الكريم، أن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض، ويسمى ذلك عند المسلمين بعقيدة القضاء والقدر، فأول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال: وماذا أكتب يا رب، قال أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإلى ذلك جاءت الإشارة الإلهية الواضحة في قوله سبحانه، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٥)

### رابعا: مفهوم الشرك

يحصر برجسون الشرك في الاعتقاد بالأرواح، سواء كانت هذه الأرواح شريرة أو خيرة، (٦) فعبادتها والتوجه إليها شرك، أما المظاهر الوثنية الأخرى فليست من الشرك في شيء، ( وإذا

(١) سفر التكوين فقرة ١- ٥ ص ١٢ .

(٢) فقرة ١- ٤ ص ١٥٧ .

(٣) الإصحاح الثالث فقرة ١- ٤ ص ٥

(٤) منبع الأخلاق، ص ٢٧٢ .

(٥) سورة الأنعام، آية: ٣٨ .

(٦) انظر منبع الأخلاق، ١٥٥، ١٦٢، ١٩٤ .

أوغلنا في هذا السبيل ومضينا بالمنطق إلى أبعد ما وصل إليه الأقدمون، قلنا أنه لم يكن هنالك شركٌ نهائيٌّ إلا في الاعتقاد بالأرواح، وإن الوثنية الحقيقية على ما فيها من أساطير تنطوي على توحيد كامن، والآلهة المتعددة آلهة ثانوية، لم توجد إلا تمثيلاً لما هو إلهيٌّ بوجه عام).<sup>(١)</sup>

### مناقشة مفهوم الشرك

أعظم ما يبعث الرسل من أجله هو الدعوة إلى التوحيد، والحذر مما يناقض هذا الأساس، وأعظم ذلك هو الشرك بالله، ويعني صرف ما يختص بالله لغير الله عز وجل، وتتعدد صورته من عبادة الأوثان والأشجار، والدواب والشهوات ومظاهر الكون التي تنمُّ عن القوة....

وحديث القرآن الكريم كله عن التوحيد، والنهي عن الشرك، فحديثه عن رب خالق متصفٍ بصفات الكمال لا يستحق العبادة سواه، بجميع أنواع التوحيد الثلاثة، ونهيه عن التوجه إلى غيره، فيما لا يقدر عليه إلا الله، هو الشرك بعينه، وقد أخذ الله الميثاق من بني آدم وهم في أصلاب آبائهم على التوحيد، وعدم الإشراف بالله، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

فالوثنية شركٌ تنصرف إليه البشرية حين تنحرف عن الجادة، ويغيب عنها وحي الله، فتطلب النفع ودفع الضرر ممن لا يملكه، وبذلك تنزل إلى محيط البهائم، وتفقد التكريم الإلهي، ويعُدُّ الإسلام الشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به، ومن هنا جاء النهي عنه صراحةً دون لبس، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>(٣)</sup>

وجاء النهي عن ارتكابه بلفظ التحريم، فأمر خاتم رسله بإعلانه لليهود والنصارى والمشركين، وجميع من يستحق خطاب الله، فقال ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وحذر نبيه - من باب إيباك أعني و أسمعني يا جارة - بأنك متى أشركت حبط عملك ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> وجاء الحكم الإلهي الفاصل بأن من مات على الشرك ماله جهنم وبئس المصير، وأن ما دون الشرك من السيئات مرجعها إلى الله، إن شاء غفرها لصاحبها وإن شاء عذبه عليها للتطهير ثم أدخله الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾<sup>(٦)</sup>

### خامسا: الطبيعة تُحي وتُميت

يعتقد برجسون أن المحي والمميت سيّدٌ نحمله معنا في كل حين، وينام داخل نفوسنا، فلا داعي

(١) منبعنا الأخلاق ، ص ٢١٤ .

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٧٢ - ١٧٣ .

(٣) سورة النساء، آية: ٣٦ .

(٤) سورة الأنعام ، آية: ١٥١ .

(٥) سورة الزمر ، آية: ٣٩ .

(٦) سورة النساء ، آية: ٤٨ .

للبحث عنه خارج النفس البشرية، ( ولا نريد أن نذهب بهذا إلى أن البطش من صفات السيد الراقد في أعماقنا، غير أنه مما لا شك فيه أن الطبيعة التي تبيد الأفراد وتخلق الأنواع، حين أوجدت الأسياذ أرادت أن يكون السيد غير ذي رحمة، والتاريخ كله شاهد على ذلك).<sup>(١)</sup>

### مناقشة الطبيعة تحي وتميت

الإحياء والإماتة من صفات الله عز وجل، وصرف الصفتين إلى غير الله عز وجل صرف إلى من لا يستحقهما، وقد جاء التنصيص الإلهي على ذلك فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

أما نظرة برجسون فلم تتعد السبب المباشر، فاستمسكت به، دون أن تبحث عن مسبب الأسباب، وهو الله عز وجل، وتلك هي الدائرة الضيقة لكل من يحصر مصادر معرفته في الأمور المادية، ولا يعترف بالمصدر الغيبي الذي هو أوسع من المصدر المباشر المحسوس، فيما أن الله هو المالك لمظاهر الكون كلها، فله الحق أن يعمل فيها بما يراه صالحاً، سواء كان ذلك إيجاداً أو إعداماً، قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

### سادسا: نفي وجود يوم القيامة

لا يعترف برجسون بوجود يوم القيامة، الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم الدنيوية إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، ويعلل ذلك بأن الاعتقاد بوجوده يجب أن ينفى لذة الحياة العاجلة، أو يجعلها خافتة لا تدرك بالعين المجردة.

وبما أن الناس منهمكون في اللذات فإن ذلك كافٍ لنفي وجوده، ( ولكن هذا وحده يكفي لأن يقلب الاعتقاد بالعالم الآخر، الذي نجده لدى معظم الناس على صورة لفظية مجردة غير ذات تأثير، أن يقلبه إلى واقع حيّ فعال، ولكي ندرك ضعف هذا الاعتقاد اللفظي المجرد، يكفي أن ننظر إلى الناس كيف يتهاكون على اللذات، فهل كانوا يحرصون عليها إلى هذا الحد، لولا أنهم يرون فيها قهراً للعدم وتحديداً للموت

الحق إننا لو كنا واثقين ثقة تامة بالبقاء بعد الموت، لما استطعنا أن نفكر في غيره، وقد تبقى اللذة بعد ذلك، إلا أنها تبقى باهتة لا لون لها، لأن شدتها ما كانت إلا نتيجة انتباهنا إليها، فما تلبث أن تشحب كما يشحب نور الصباح في ضوء الشمس)<sup>(٥)</sup>

### مناقشة: نفي وجود يوم القيامة

يعدُّ دين الله الأخير الإيمان بوجود يوم القيامة، الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم خيراً

(١) منبع الأخلاق، ص ٢٠١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٥) منبع الأخلاق، ص ٣٤١.

كانت أو شراً أحد أركان الإيمان الستة، وظل القرآن الكريم يبني هذه العقيدة في نفوس المؤمنين ضمن ثلاث عقائد - عبادة الله وحده، وأن محمداً نبي حق، وأن يوم القيامة آتٍ لا محيد عنه - محورية تدور حولها حديث السور المكية التسعة والثمانين.

وبتبني عقيدة وجود يوم القيامة تصلح الحياة العاجلة، فإذا اعتقد الصالح من البشر وجودها ازداد من الأعمال الصالحة، وإذا اعتقد الطالح وجودها امتنع عن السيئات، وأحجم عن ارتكابها، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال سبحانه محذراً المسيئين من عقوبة يوم القيامة، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> وقال سبحانه (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) <sup>(٤)</sup>

وجاء القطع الإلهي بوجود هذا اليوم، وإن منكره منكرٌ لحقيقة ثابتة لا تقبل الجدل، ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾<sup>(٥)</sup>

أما قضية غفلة الناس عن هذا اليوم وعدم الاكتراث به، لوجود الفرح واللذة بينهم دون انقطاع، فذلك مرجعه امتحاننا للخضوع لأمر الله، هل نأخذ من الدنيا القدر المباح أو نتصورها فرصة لا تُعوَّض، فنهتبل منها أكبر قدر ممكن.

أضف إلى ذلك أن النسيان من أعظم نعم الله على الإنسان، فلو ظل متذكراً للمآلات المؤلمة لما تمتع بلمحة سعادة في حياته، وأقرب مألٍ لا يشك فيه أحد من البشر وجود الموت، وإنه سيصيب كل البشر، فلو ظل هذا المألٍ ماثلاً في كل لحظة، لما تقدمت البشرية خطوة واحدة إلى الإمام، ولظلت على عهد الكهوف والاحتطاب وقنص الصيد، ولما وجدنا السيارات والطائرات والغسالات والثلاجات، والطب والصيدلة والتلفاز والجوال والإنترنت، والقنابل الفسفورية والنووية.....

فالفغلة والنسيان أعظم ما أنعم الله به على الإنسان، ولولا وجودهما ما استطعنا العيش براحة ولو لفترة قصيرة، وفيهما ينحصر سر التقدم وبهجة الحياة.

### سابعا: نفي الحياة الآخرة نعيمها وعذابها

تنبعث فكرة الحياة بعد الموت عند برجسون من أن الطبيعة وهبت للإنسان العقل، فرأى كل من حوله يموت فأيقن أنه ميتٌ، لا محالة شاء أم أبى، فتباطأت حركة الحياة الإنسانية ربما اقتربت إلى التوقف لو علم الإنسان يوم موته، إلا أن عدم وقوعه في سنوات ممتدة من حياته أضعف هذا اليقين، حتى وصل به إلى شبه ريب في الموت، مع يقيننا الجازم بقدومه وأصابته كل

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧ .  
(٢) سورة المائدة، آية: ٣٦ - ٣٧ .  
(٣) سورة فصلت، آية: ٤٠ .  
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٥ .  
(٥) سورة النساء، آية: ٨٧ .

البشر.

فجاء رد الفعل الدفاعي عن طريق الدين لمقاومة الموت، فقدم لنا صورة بقاء الحياة بعد الموت ب حياة أخرى غير هذه الحياة، لا موت بعدها أبداً. (١) (قلنا إن الدفعة الحيوية تجهل الموت، ثم بزغ العقل فظهرت فكرة استحالة اجتناب الموت، وقام عندئذ تصورٌ معاكسٌ يعيد للحياة دفعتها، وعن هذا نشأت العقائد البدائية المتصلة بالموت) (٢)

وينتقد وجود مثل هذه الحياة بتقديم تشبيهين: بقاء النفس بعد فناء الجسد، (٣) وبقاء الظل بعد فناء الجسم، ( أما إذا كنا افترضنا من قبل أن ظل الجسم يبقى، فلا يكون ثمة مانعٌ من أن ندع له ذلك المبدأ، الذي كان يبعث في الجسم قوة العمل، فيكون الظل عند ذلك ظللاً عاملاً فعلاً قادراً على التأثير في حوادث البشر، ولعل هذا هو المفهوم البدائي للبقاء بعد الموت) (٤)

ويقترح أن يكون تصور الحياة الأخرى مماثلاً لتصور الصوفية لوجود الله وطبيعته، فإنهم فيه، وهو فيهم، لا ينفصل عنهم ولا ينفصلون عنه، فهكذا ينبغي أن يكون تصور حياة الآخرة لا تغادر جسم الإنسان الموجود، ولا حياته، فكل صورها نعيماً وألماً يجب أن تكون في ذات الإنسان في هذه الحياة، لا تُعدّوه ولا تتعداه، ( وهكذا فإن نفس الأسباب التي تحملنا على الاعتقاد بوجود الله تبين لنا طبيعته، فإذا اتفقنا على هذه النقطة، كان في وسعنا أن نتحدث عن القدرة الكلية التي لله على هدى، ونحن نجد أمثال هذه التعابير تجري على ألسنة المتصوفين، الذين نرجع إليهم خاصة في الأمور التي تتصل بالتجربة الإلهية...

إنهم لا يستحضرون تصوراً مغلقاً، ولا يُعرّفون الله بتعريف نستخلص منه طبيعة الكون، أو ما يجب أن يكون عليه الكون، وهذه الطريقة نفسها يجب أن تطبق على كافة مسائل ما بعد الموت) (٥)

### مناقشة نفي الحياة الآخرة نعيمها وعذابها

نعم ما قاله برجسون حقيقة ثابتة، من أن الدين يقدم عقيدة حياة دائمة لا موت فيها بعد هذه الموتة الأولى، إلا أن منبعها الدين المنزل من عند الله عزوجل لا الدين الذي أنشأته الوظيفة الأسطورية البرجسونية، لمقاومة الهدم المنبعث من العقل.

وقد نص القرآن على وجود هذه الحياة الآخرة في مئات الآيات فمن ذلك قوله سبحانه ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٦)

وشبه سبحانه إحياء الناس للحياة الآخرة كإحياء الأرض عند إنزال المطر بعد الجذب، فإذا كان ذلك واقعاً مُعَايَنًا غير منكرٍ، فكذاك إحياء الناس للحياة الأبدية، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) انظر منبع الأخلاق، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) منبع الأخلاق، ص ١٥٠.

(٣) انظر منبع الأخلاق، ص ١٤٧.

(٤) منبع الأخلاق، ص ١٤٧.

(٥) منبع الأخلاق ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٦) سورة يس، آية: ٧٨ - ٨٣.

(١) قَدِيرٌ ﴿

ووصف القرآن الكريم هذه الحياة الأبدية بالخلود وعدم الزوال، سواءً كانت حياة سعادةٍ أو حياة شقاء، فقال سبحانه في وصف الأولى، ﴿ لِكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾<sup>(١)</sup> وقال في وصف الحياة الأبدية الشقية الخالدة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾<sup>(٢)</sup> أما نفي برجسون بتقديم تشبيهين كدليل لما تصوره في النفي، فهو تشبيه مع الفارق، تشبيه شيءٍ مُدْرِكٍ بالعقل بشيءٍ فوق تصور العقل لا يستطيع إدراكه، إن في تلك الحياة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فقد جاء في الحديث القدسي ( قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فأقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) (٤) كما صح من قوله صلى الله عليه وسلم ( إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ على أخصم قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجلُ بالقمقم) (٥)

فلن يستطيع العقل البشري إثبات هذه الحياة لأنها لا تدخل في دائرة عمله، وتشبيهها شبيهان بمن يطلب من كتاب ورقى إطلاق النار على العدو، ومن نظارة إبصار إخراج الماء للظمان. فقضية الحياة الأخرى فوق التصور العقلي، وطلبنا من العقل إثباتها أو نفيها تحميراً له فوق طاقتها، وإعماله فيما لم يخلق من أجله، فقد خلقه الله للبحث في أمور الحياة الدنيا، يربط السبب بالمسبب، وينشئ المعامل التجريبية لمقتضيات الحياة الدنيا، ويجري التجارب على المواد الخام المتناثرة على وجه البسيطة، ليستخرج منها ما ينفع البشر، إلا أنه عاجزٌ عن إدراك الغيبات وإثبات وجودها، لأنها فوق قدرته، ولم يخلق من أجل البحث فيها.

أما اقتراحه بأن يكون تصور الحياة الأخرى تصوراً داخل نفوسنا الحالية ولا يتعداها، وأن تكون اللذة والألم ينالهما الإنسان في هذا الجسد في هذه الحياة، كما يتصور الصوفي الإله بأنه فيه وأنه في الله، فإنه اقتراح غير مقبول في الدين الحق، وغير مقبول عند العقل.

أما الدين الحق فإن نصوصه تجزم بقاء هذا الجسم، وأنه سيحيى مرة أخرى، وتكون نقطة تكوينه عَجَبُ الذنوب كما صح بذلك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجَبُ الذنوب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) (٦)

فالنصوص الدينية الثابتة تعطينا حياتين:

١- الحياة الدنيا العاجلة التي هي محط اختبار للإنسان.

٢- الحياة الآخرة ينال فيها الإنسان جزاء عمله الدنيوي، وأن هذه الحياة أبدية لا يخرمها الموت.

أما عدم مقبوليته عند العقل، فإن العقل السليم يجزم بالفارق بين هذه الحياة العاجلة، وبين الحياة

(١) سورة فصلت، آية: ٣٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٨.

(٣) سورة التغابن، آية: ١٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة. فتح الباري ج ٦ ص ٣١٨.

(٥) رواه البخاري، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار. فتح الباري ج ١١ ص ٤١٧.

(٦) رواه البخاري كتاب التفسير باب يوم ينفخ في الصور... فتح الباري ج ٨ ص ٦٨٩.

التي يريد برجسون تصوّرَها في النفس البشرية، فهما حياتان منفصلتان، لا يمكن الجمع بينهما إلا في التصور العقلي لا الواقع الملموس، فكيف يمكنني تصور سعادة وأنا أعيش في أصعب مراحل الشقاء، من كدٍ وتعبٍ وعملٍ ليلٍ نهار، لا يَبْقَى أبسط متطلبات الحياة، وكيف أتصور الشقاء وأنا أعيش في ثراءٍ مُفرطٍ، لا أفرق في الإنفاق بين ورقة عشر ريالات وخمس مائة ريال. كل ذلك ممكن من الناحية العقلية، أما وجوده كواقعٍ عمليٍ فهو بمثابة من يتصور البناء على السحاب، أو على الماء في النهر الجاري، لذا لم ينجح التصور الصوفي في جلب الناس إلى صفوفه في تصور الإله، بل عد الناس ذلك تفاهةً وخبالاً، وحكموا على صاحبه بالجنون وفقدان العقل، وعدوا تصوّره غير منطقي لحياةٍ بشريةٍ سليمة.

وأعظم المعتقدات على الإطلاق عقيدة وجود الله عزوجل، وعليه بناء بقية المعتقدات الدينية، ولبرجسون موقفٌ واضحٌ تجاه وجوده سبحانه ، وتطور نشأته، وتعدد صورته....

ولِعَظَمِ هذه العقيدة في نفوس البشر أجمعين لم ينكرها أحدٌ في القرون الماضية، قبل هذا القرن المُلحد، فبدأ المفكرون الغربيون المُوجَّهون من اليهودية العالمية بتمييع وجوده أولاً، ثم تنويع مظاهره، ثم اتحاده بالإنسان،.....، حتى أنكروه، وجهروا بفلسفة تجزم بوجود مظاهر الكون من غير مُوجد، فأنكروا كل عقيدة وردت عن الله عزوجل.

وبما أن القضية بهذه الضخامة، أفردت لها فصلاً كاملاً لبيان ما قاله برجسون تجاه جناب الله، وقارنته بما تقول به الأديان المنزلة من عند الله عزوجل، ولاسيما الدين الأخير الذي تكفل الله بحفظ كتابه، فكشفت حقيقة القضية بما ورد في هذا الكتاب المحفوظ وما صح من سنة نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وذلك هو موضوع الحديث في الفصل التالي.



## الفصل الثالث: برجسون وعقيدة وجود الله

التعريف بكلمة الله.

عقيدة وجود الله.

تعدد الإله.

تعدد الإله هو الحضارة.

مناقشة: وجود الله وتعدد الإله.

١- جانب الإثبات للإله الحق.

٢- جانب نفي الإله غير الحق.

مناقشة: إثبات الإله بالتجربة.

مناقشة: المجتمع أوجد الإله لحماية المحظورات الاجتماعية.

مناقشة: وجود الإله الآن تَرَفُّ.

### التعريف بكلمة ( الله )

كلمة ( الله عَلمٌ على الإله المعبود بحق، أصله إله دخلت عليه أل، ثم حذفت همزته، وأُدغم اللامان) (١) وتعني الكلمة: المعبود الحق الذي يجب طاعته، فلا يُعبدُ إلا الله وحده، ولا يطاع فَيَحْكُمُ في أمرٍ من أمور الدنيا إلا الله وحده. (٢)  
والإله كل ما اتخذ معبوداً، وجمعه آلهة. (٣)

### عقيدة وجود الله عزوجل

أعظم ما أنتجته الوظيفة الخرافية من الوهم الإرادي عند برجسون في هذا الدين الساكن هو تصور الإله، ووجوده، ( هذا الضرب من الخيال الذي أسميناه بالوظيفة الخرافية، وما على هذه الوظيفة إلا أن ترخي لنفسها العنان، فإذا هي تصنع من شخصيات أولية، ترسم ارتساماً مبدئياً آلهة تسمو، فتكون آلهة الأساطير، وتهبط فتكون الأرواح البسيطة، أو تلك القوى التي لا تحتفظ من أصلها النفسي إلا بخاصة واحدة، هي كونها ليست آلياً صرفاً، وكونها تخضع لرغباتنا وتدعن لمشيتنا، فأما الاتجاه الأول والثاني فهما اتجاها الدين، وأما الاتجاه الثالث فهو اتجاه السحر. (٤)

ويشرح برجسون فكرة نشوء الإلهة بوضوح أكثر في هذا الدين، وإنه مرهون بالإرادة الإنسانية، فيقول: ( وثمة شيء آخر يجب أن نحسب حسابه، فقد رأينا كيف كان الأقدمون يشهدون على مرأى منهم نشوء هذا الإله، أو ذلك غير مباين، ثم يؤمنون به إيمانهم بسائر الآلهة، وهذا الأمر يكون غير مقبول، لو أن وجود آلهتهم كان يبدو لهم من نوع وجود الأشياء التي يرونها ويلمسونها، والحقيقة أن وجودها إن كان يبدو لهم واقعاً فهو واقعٌ مرهونٌ بالإرادة الإنسانية) (٥)

ويجزم برجسون أن كل تطور في الآلهة الأسطورية ناتجٌ عن الملكة الخرافية، وأن تطورها لم يخضع لمبادئ محددة، وإن الإنسانية وضعت الحبل على غاربها، فأنتجت من الآلهة ما شاء لها هواها، ( والواقع أنها لم تخضع في نشوئها ولا في تطورها لأي قانون، وإنما أرخت الإنسانية العنان للغريزة الخرافية، ففعلت هذه ما شاء لها هواها) (٦) ومن ثم كان الفرق شاسعاً بين أساطير الآلهة لدي الأمم المختلفة.

بما أن العنان مرتخ للوظيفة الخرافية، فقد كان بإمكانها أن توجد آلهةً مخترعة على غير الشكل الموجود حالياً، فالحاجة البشرية هي التي توجد الإله، وتحدد شكله، (٧) وتربط وجوده بما يلبي حاجة الإنسان في مجتمعاته المتعددة.

فجاء تصور وجود الإله ليستفيد منه الإنسان، فكان من الطبيعي أن يقلده وظائف حسب حاجته، فللغرس إله، ولإزهار الأشجار إله، ولإنضاج الثمر إله، (٨) فالظروف والهوى تنتشئان الآلهة في مجتمعاتها المتعددة. و لربما وجود الإله المفرد كان حاجةً معينةً ويمكن الاستغناء

(١) المعجم الوسيط، مادة إله ج ١ ص ٢٥ .  
(٢) انظر لتفصيل معنى الإله، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للدكتور إبراهيم محمد البريكاني ص ١٢١-١٢٢ .  
(٣) انظر المعجم الوسيط مادة إله ج ١ ص ٢٤ .  
(٤) منبع الأخلاق، ص ١٧٧ .  
(٥) منبع الأخلاق، ص ٢١٣ .  
(٦) منبع الأخلاق، ص ٢٠٧ و انظر، ص ٢١١ .  
(٧) انظر منبع الأخلاق ص ١٩٧ و ٢٠٣ .  
(٨) انظر منبع الأخلاق، ص ٢١٣ .

عنه، ولكن الاستغناء عن مجموع الآلهة أمرٌ مستحيل، فهو ضروري للحياة الإنسانية كضرورة الماء والهواء.<sup>(١)</sup>

فالتأثير في النفس الإنسانية هو الذي ينشئ الإله، فيتصوره الإنسان كجوهرٍ قائم، ثم يبدأ بإعطائه الصفات التي تلبى حاجته، فتصور الإله ناشئاً من الفرد ثم ينضم إليه غيره، فتتكون الإلهة الاجتماعية، فالإله تصورٌ بشريٌّ محض أنشأته الوظيفة الخرافية، ليلبي ما تحتاج إليه الحياة الفردية أولاً، ثم الاجتماعية ثانياً.<sup>(٢)</sup>

فكل شيء ذات تأثير في نظر معتقدي هذا الدين إله،<sup>(٣)</sup> فمن أعظم المؤثرات وجود الأرواح، ومنها انتقل التأثير إلى الإلهة المتعددة دون شعورٍ من هؤلاء المعتقديين ( إن الانتقال من الأرواح إلى الآلهة يكاد لا يُشعرُ به، ومع ذلك فالفرق بينهما واضحٌ، فالإله شخص له مزاياه، وله نقائصه، وله خَلْفُه، وله اسم يسمى به، وله مع غيره من الآلهة صلاتٌ محدودة، وهو يقوم بوظائف هامة، يقوم بها وحده).<sup>(٤)</sup> ومن هنا لا مانع أن يكون كل الناس آلهة بعضهم لبعض.<sup>(٥)</sup> لأن كل واحدٍ منهم يؤثر في الآخر.<sup>(٦)</sup> ولا مانع أن تكون الآلهة التي صنعها الإنسان صانعةً للآلهة على أرضنا الأبية.<sup>(٧)</sup>

### تعدد الآلهة

تعدد الآلهة راجعٌ عند برجسون إلى إرادة الإنسان نفسه، فتتسع آلهة المدينة باتساعها، وقد تنشب الحرب بين المُدن بسبب نزاع بين آلهةٍ متحاربة، وفي وسعها إجراء الصلح بينها وبين عدوها ( وذلك بأن تدخل آلهة الشعب المغلوب في هيكل الشعب الغالب، على أن الحقيقة أن المدينة أو المملكة من جهة، وآلهتها الأوصياء عليها من جهةٍ أخرى، كانتا تولفان شراكةً غامضةً، تَقَلَّبَتْ صفاتها وتغيرت تغييراً لا حد له).<sup>(٨)</sup>

فإصدار أمرٍ من الأمير أو الحاكم كفيلاً بإيجاد الآلهة، أو إزالتها، وتَدَخُّلُ فرعون مصر اخناتون خير شاهدٍ لذلك، فقد أمر بإزالة آلهة مصر كلها، وأبقى على واحدةٍ منها، (واستطاع أن يجعل الناس يرتضون هذا النوع من التوحيد حتى آخر حياته، والفراعنة كانوا يساهمون هم أنفسهم في الألوهية، فكانوا منذ أقدم الأزمان يسمون أنفسهم أبناء (رع)، فظلت هذه السُنَّةُ المصرية، وهي تأليه الحكام حتى عهد البطالسة)<sup>(٩)</sup>

وإن التاريخ يحدثنا عن ظاهرة تأليه الحكام، في كل من سوريا في عهد السلوقيين، وفي الصين واليابان، حيث يتمتع الحاكم بجلال الألوهية في حياته، ثم يصبح إلهاً بعد مماته، كما نجد الظاهرة ذاتها في روما، حيث أله مجلسُ الشيوخ القياصرةَ، مع وجود الفارق في درجة العبادة قوةً وضعفاً، (فشتان مثلاً بين ألوهية إمبراطور روماني وبين ألوهية فرعون من الفراعنة)<sup>(١٠)</sup> ومثل هذه الآلهة تنشأ وتموت، وتكتسب الأوضاع المختلفة، وفوق مشيئة الأفراد وظروف

(١) انظر منبعاً الأخلاق، ص ٢١٤.  
(٢) انظر منبعاً الأخلاق، ص ١٩١، ١٩٣، ٢٥٠، ٢٧٩.  
(٣) انظر منبعاً الأخلاق، ص ٢٠٦.  
(٤) منبعاً الأخلاق، ص ٢٠٠.  
(٥) انظر منبعاً الأخلاق، ص ٢٥٦.  
(٦) انظر منبعاً الأخلاق، ص ٢٥٦.  
(٧) انظر منبعاً الأخلاق، ص ٣٤١.  
(٨) منبعاً الأخلاق، ص ٢٠٧.  
(٩) منبعاً الأخلاق، ص ٢٠٢.  
(١٠) منبعاً الأخلاق، ص ٢٠٢-٢٠٣ وانظر ص ١٩٢.

معيشتهم،<sup>(١)</sup> وينتج عن ذلك اتساع ممتلكات هذا الإله وتضييق ممتلكات ذاك الإله، بموجب ما أسند إليها الإنسان من الوظائف، فنقسم الإرادة البشرية الكون فيما بينهم، فمن الآلهة ما يختص نفوذها بالسماء والأرض وما بينهما، ومنها ما يختص نفوذها بالبحر، ومنها ما ينحصر نفوذها في الأرض، ومنها ما يختص نفوذها بجزءٍ محددٍ منها.<sup>(٢)</sup>

ولم يقتصر أمر الألوهية على الذكور بل شارك في ذلك الإناث، فوجدت آلهات عند كل من اليونانيين والرومانيين والمغول.<sup>(٣)</sup> فالإله ينمو بنمو المدينة، يكون في أول أمره متواضعاً، ثم يصبح إله الأمة بأسرها، فمهما عظم الإله فإن ألوهيته تقتضي التغيير، فيغتني بصفاتٍ جديدةٍ بابتلاعه آلهة ضعيفة تنمي جوهره، وخير من مثل الألوهية من هذا النوع إله الشمس (رع) عند المصريين، و(بعل) عند النينويين، و(ميرو داخ) عند البابليين<sup>(٤)</sup>

ويختلف إله أرسطو عن الآلهة السابقة جميعاً، فالحركة والسكون والتغيير والثبات، وعمل الفرد الصناعي الذي يقتضى وجود نمطٍ معينٍ أو أنماطٍ معينة، وعمل المجتمع بالإيجاد والمنع، كل ذلك داخل ضمن الألوهية عند أرسطو، ( هذا هو إله أرسطو، وهذا معناه، فما لهؤلاء المُحدَثين يبحثون في وجود الله وطبيعته مُورّطين أنفسهم في مشكلاتٍ لا تحل، ولا يمكن أن تطرح على بساط البحث، ما لم ننظر إلى الله من وجهة النظر الارسططالية، وما لم نسلم إلهاً هذا الكائن الذي لم يخطر على بال أحد يوماً أن نبتهل إليه)<sup>(٥)</sup>

ومن صور الألوهية - عند برجسون - في عصرنا الحاضر التي أنتجت الوظيفة الخرافية صورة الحظ والنصيب، التي يتعاطاها المُقَامِر، فيعزو النجاح والإخفاق إلى حسن الحظ وسوءه، رغم تفسيره كل ما ينقضي بين اللحظة التي وضع فيها المال، وبين اللحظة التي تستقر فيها الكرة لإعلان الفوز أو الإخفاق، يربطها بالأسباب الطبيعية، ولكنه يضيف في النتيجة النهائية إلى هذه السببية الآلية دخول الحظ والنصيب، ويعطيها النتيجة الكاملة ويسحب البساط كاملاً من الأسباب الطبيعية، وبذلك تتحقق ألوهية الحظ والنصيب، الناتجة من الوظيفة الخرافية، وإن ذلك مساوٍ لألوهية السحر والساحر.<sup>(٦)</sup>

### تعدد الآلهة هو الحضارة

ويعد برجسون تطور الإله في الدين الساكن وتعدد صورته أمراً حسناً، يقود إلى الرقي البشري، وإن الصعود التدريجي في ساحة الآلهة زيادةً، والنزول التدريجي نقصاً، نوع من التقدم حقيقته البشرية في سيرها الحضاري، وإن ذلك هو الأساس في الديانات الشعبية ومطمح المرموقين من البشر.<sup>(٧)</sup>

وبينى برجسون نفي وجود الإله الميتافيزيقي (الغيبي) لعدم دخوله في أنبوب التجربة، والشئ الذي لا تثبته التجربة لا يمكن إثبات وجوده، ( ففي رأينا بوجهٍ عامٍ أن الشئ الموجود هو الشئ المدرك، أو الشئ الذي يمكن إدراكه، وهو إذن ما تطلعنا عليه التجربة، واقعية كانت أو ممكنة، أنت تستطيع أن تبني فكرة عن شئٍ أو عن كائنٍ كما يبني الهندسي.

(١) انظر منبع الأخلاق ص ٢٠٣ .

(٢) انظر منبع الأخلاق ص ٢٠٥ .

(٣) انظر منبع الأخلاق، ص ٢٠٦ .

(٤) انظر منبع الأخلاق، ص ٢٠١ و ٢٠٥ .

(٥) منبع الأخلاق، ص ٢٩١ .

(٦) انظر منبع الأخلاق، ص ١٥٣ و ١٥٨ - ١٥٩ .

(٧) انظر منبع الأخلاق، ص ١٩١ و ٢٠١ .

ولكن التجربة وحدها هي التي تقرر أن هذا لشيء موجود بالفعل خارج الفكرة، التي بنيتها على هذا النحو، لعلك تقول، ولكن هذه هي المسألة كلها، والمسألة هي أن نعرف هل ثمة كائنٌ يمتاز عن سائر الكائنات، بأنه لا يدرك بالتجربة، ولكنه مع ذلك موجودٌ كوجود تلك الكائنات....، حتى إذا أُتيح بمعجزةٍ وخلافاً لرأي الفلاسفة، أن يهبط هذا الله إلى ساحة التجربة لأنكره كل الناس، وما عرفوه<sup>(١)</sup>.

ويصل برجسون إلى النتيجة التي ارتضاها لنفسه فيما يختص بوجود الإله الغيبي، بأنه ناشئٌ من الوظيفة الخرافية التي أنشأها العقل البشري، لمنع قوة العقل الهدامة، فنظام المجتمع يفرض على الفرد التخلي عن بعض رغباته، والتضحية بجزءٍ من حريته، التي أملاها عليه العقل في سبيل مصلحة غيره.<sup>(٢)</sup>

ولم يكن من السهل إقناع الفرد بتقبل كل هذا الحرمان لمصلحة الآخرين، لذا احتاجت البشرية إلى إيجاد قوةٍ تحفظ التوازن وتوفق بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، وهي موجودةٌ سلفاً قد أعدتها الطبيعة في الإنسان ذاته، حين سقته الفكرة الدينية، وتمثلت في تصوير المحظورات الاجتماعية بصورةٍ مخيفةٍ، تجعل من المخاطرة انتهاكها، وظلت تبالغ في هذا التصوير، حتى أوهمت الناس أن هذه المحظورات يقوم على حمايتها حارسٌ معنويٌّ، يأمر وينهى وينذر، ويعاقب بالبطش والعقاب الأليم كل من ينتهكها.

فهي شبيهةٌ بلوحة إدارة المرور التي كُتِبَ عليها، (المرور ممنوع، فندرك المنع أول ما ندرك، لأنه واضحٌ وضوح النهار، ووراء هذا المنع نتصور فيما يشبه الظلام الحارس الذي سيحيلنا إلى القضاء، كذلك النواهي التي تصون النظام الاجتماعي يلقى بها في أول الأمر كما هي، ولئن لم تكن مجرد قوانين مصوغة لأنها مقاومة وضغط ودفع، فإن الألوهية التي تنهى والتي كانت مقنعةً بها، لا تظهر إلا بعد ذلك، بنسبة ما يكتمل عمل الوظيفة الخرافية)<sup>(٣)</sup> إذن: فالألوهية مقنعةٌ بالمعنى الاجتماعي والنواهي الاجتماعية.

ووجود هذا الحارس نتج من عمل الوظيفة الأسطورية، التي تجسد المعنويات وتُشخِّصُ المجرّدات، فوجود الإله الوهمي حاجةٌ بشريةٌ ولذتها المقتضيات الاجتماعية، فعن طريق هذه الوظيفة يستطيع الإنسان اختراع كائناتٍ ينسب إليها أخلاقاً وتاريخاً، وأعظم ذلك وجود الإله، (الحقيقة أن العقل ينصح أول ما ينصح بالأنانية فينحدر إليها الكائن العاقل، إذا لم يحل بينه وبينها شيءٌ، ولكن الطبيعة ساهرةٌ، فقد رأيت أنها سرعان ما ألقت في وجه السيدة حارساً يمنعها من الدخول، ويردها عن الباب المفتوح، والحارس هنا هو الله، حامي المجتمع، يُحرّم ويوعد ويعاقب، إن العقل يعمل وفق إدراكاتٍ حاضرة)<sup>(٤)</sup>

فالإله هو الحارس الذي يقوم بحماية المحظورات الاجتماعية، اخترعه المجتمع عن طريق الوظيفة الأسطورية، لإخافة الفرد المتمرد على النواهي الاجتماعية، ووجوده يقود إلى الوفاق بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع، فالإله والمؤلهون أسماء لمسمى واحد.<sup>(٥)</sup> وتصور وجوده بيننا الآن نوع من الترف، لأننا تعدينا مرحلة الدين الساكن، الذي يحتاج

(١) منبع الأخلاق، ص ٢٥٧-٢٥٨ وانظر ص ١٥٧ و ١٦٨ و ٢٧٩.

(٢) انظر منبع الأخلاق، ص ١٣٤.

(٣) منبع الأخلاق، ص ١٣٨.

(٤) منبع الأخلاق، ص ١٣٣ وانظر ص ٧٨ و ١٨٨.

(٥) انظر منبع الأخلاق، ص ١٩٦.

فيه المجتمع إلى تماسك أفرادها، وذلك بوضع النظم والتشريعات التي تلبى مصالح كل البشر دون استثناء، فتصور وجود هذا الإله لا يُجدي نفعاً للحياة البشرية الآن.<sup>(١)</sup>

### مناقشة وجود الله

مناقشتي لبرجسون في تصور الإله ووجوده تمر عبر أربعة مناهذ:

#### المنفذ الأول: مناقشة تعدد الإله

ما قاله برجسون في تصور الإله في الدين الساكن، يمثل نصف الحقيقة التي أفاض فيها القرآن الكريم وناقشها وبيّن بطلانها منذ وجودها، حتى رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. ويمثل هذا النصف الإشراف باله الذي يناقض توحيد الله عز وجل، وقد درس برجسون هذا النصف وأفاض الحديث فيه، من أن الأرواح آلهة والساحر إله وكل ذي تأثير في النفس البشرية يمثل الألوهية، وأن الحظ والنصيب جزء من ذلك.

وإن حاجة الإنسان ورغباته الشخصية والاجتماعية تنشئ الآلهة، فأمر الأمير كفيلاً بإيجاد الإلهة وإزالتها، وأن ممتلكات الآلهة تتسع وتنكمش حسب إرادة الإنسان، في ضوء ما يسند إليها من الأعمال، وإن الإنسان هو الذي يخترع الأساطير والقصص لهذه الآلهة حسب الحاجة، وإن حاجة الإنسان الفرد لوجود الإله يمكن الاستغناء عنها، بخلاف مجموع الآلهة الاجتماعية فإن الاستغناء عنها أمر مستحيل.

وأن تعدد الإله راجع إلى تنوع الرغبات البشرية، لذا لم تنحصر الألوهية في الذكور بل دخلت إليها الإناث، وإن الإلهة والإلهات يكتسبون صفات جديدة حسب الحاجة البشرية، وتزداد الإلهة نمواً في العدد وتنكمش ضموراً في العدد حسب الضرورات الملجئة، وأن إله أرسطو يختلف عن كل ذلك، فقد تصوره في السكون والحركة وعمل الفرد الدعوب.....

كل ما قاله برجسون عن الإله والألوهية المتنوعة يمثل خط الانحراف، الذي تنزلق إليه البشرية لسبب أو لآخر، ودراسة برجسون لهذا الجانب لم تتعد ما يقوله دارسو تاريخ الأديان في المجتمعات البدائية وغير البدائية، إلا أنها تمثل دراسة نصف الحقيقة، ولتكملتها يجب دراسة الإسلام ومعتقداته، في الإله والألوهية وأحكامه الصارمة نحو الشرك وتعدد الإله.

وإني أتهم برجسون بالخيانة وإخفاء النصف الآخر من الحقيقة عن قصد، فقد نَحَلْتُ كل كتبه، وقرأت رائعته (منبعا الأخلاق والدين) - حسب قول الناس - عشرات المرات، لعلّي أجد فيها جملأ تومئ إلى دراسته للإسلام، وتصوره للإله والألوهية فيه، فلم أجد إلا جملة واحدة جاءت عرضاً، من أن التصوف الإسلامي في الهند تأثر بالتصوف الهندوسي<sup>(٢)</sup> فهل من الإنصاف أن يعمم الحكم في تصور الإله على الأديان كلها!؟

وإن برجسون غير معذور لعدم دراسته معتقدات الإسلام، في تصور الإله والألوهية، لأن كتاب الإسلام - القرآن الكريم - متوفر في كل مكان، في المدن والقرى والمساجد والمكتبات، بل في كل أرجاء الأرض ومن ذلك فرنسا، بالإضافة إلى وجود المسلمين الموحدين فيها، وإني أستغرب مسلكه، إذ يستطيع دراسة تطور الإله في الكونغو الأفريقية، ولا يستطيع دراسة القرآن المتوفر بين يديه، بل في مكتبة كليته التي يدرس فيها، إنها خيانة مقصودة وأمرٌ ذبّر بليل.

(١) انظر منبعا الأخلاق، ص ١٣٧.

(٢) انظر منبعا الأخلاق، ص ٢٤٢.

وبما أن برجسون غفل عن قصدٍ لدراسة هذا الجانب، فإني مُلَزِّمٌ بدراسته لتكميل نصف الحقيقة المتروكة، إذ لا تكتمل صورة الدين الحق إلا بذلك، وإليك موقف الإسلام الثابت من الإله والألوهية، ويمثل جانبيين:

### الجانب الأول:

١- جانب إثبات الإله الواحد المتصرف في الكون كله، المتصف بصفات الكمال والجلال لا يعتريه نقصٌ، وإن الكون كله ملكه، وإن الإنسان أكرم مخلوقٍ خلقه، يجب عليه الخضوع لخالقه، فلا يستحق العبادة سواه.

٢- جانب نفي الألوهية عن غير الله، وإن صرفها لغير الله منافعٍ لحقيقة الوجود البشري، مناقضٍ لوجود الإله الحق، وأن من صرف شيئاً من خصائص الألوهية لغير الله فقد أشرك مع الله، وكلما انحرفت البشرية عن هذه الجادة أرسل الله إليها مبعوثاً يعيدها إلى التوحيد.

### جانب الإثبات للإله الحق

وأعظم ما يقدم الصورة المثلى لإثبات الإله الحق أسمائه وصفاته، الواردة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا أستطيع ذكرها جميعاً، ومضان ذلك كتب العقيدة الإسلامية، ومن أبرز تلك الأسماء:

١- الله: فهو اسمه بل أعظم أسمائه قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾<sup>(١)</sup>

٢- الحي: فهو اسم من أسمائه والحياة صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

٣- القادر: فهو اسم من أسمائه والقدرة صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

٤- العزيز: فهو اسم من أسمائه والعزة صفة من صفاته سبحانه، قال تعالى: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾<sup>(٤)</sup>

٥- السميع: فهو اسم من أسمائه والسمع صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

٦- العليم: فهو اسم من أسمائه والعلم صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>

٧- الرحمن: فهو اسم من أسمائه والرحمة صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٦.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٤٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٣٧.

- ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١﴾
- ٨- الرحيم: فهو اسم من أسمائه والرحمة صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢)
- ٩- الغفار: فهو اسم من أسمائه، والمغفرة صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٣)
- ١٠- السلام: فهو اسم من أسمائه قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤)
- ١١- الوهاب: فهو اسم من أسمائه وهو المعطي، قال تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٥)
- ١٢- الرزاق: فهو اسم من أسمائه والرزق صفة من صفات فعله الاختيارية، يرزق عباده متى شاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٦)
- ١٣- الخبير: فهو اسم من أسمائه قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧)
- ١٤- القوي: فهو اسم من أسمائه قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (٨)
- ١٥- القيوم: فهو اسم من أسمائه قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (٩)
- ١٦- الصمد: فهو اسم من أسمائه قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (١٠)
- ١٧- الأول: فهو اسم من أسمائه، ويعني الذي ليس قبله شيء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ (١١)
- ١٨- الآخر: فهو اسم من أسمائه، ويعني الذي ليس بعده شيء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْآخِرُ وَالْأَخِرُ﴾ (١٢)
- ١٩- الظاهر: فهو اسم من أسمائه، ويعني الذي ليس فوقه شيء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٤)
- ٢٠- الباطن: فهو اسم من أسمائه، ويعني الذي ليس دونه شيء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٤)
- ولا شك أن إلها وإله العالمين جميعاً له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وما ذكرته نذرٌ يسيراً مما ورد إثباته لله عز وجل، في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والمقصود بكل ذلك

(١) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ١.

(٣) سورة طه، آية: ٨٢.

(٤) سورة الحشر، آية: ٢٣.

(٥) سورة ص، آية: ٣٥.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٥٨.

(٧) سورة التحريم، آية: ٣.

(٨) سورة الشورى، آية: ١٩.

(٩) سورة طه، آية: ١١١.

(١٠) سورة الإخلاص، آية: ١-٢.

(١١) سورة الحديد، آية: ٣.

(١٢) سورة الحديد، آية: ٣.

(١٣) سورة الحديد، آية: ٣.

(١٤) سورة الحديد، آية: ٣.



دعاء الله بها، حتى ينال الإنسان شرف التكريم، فينقطع من التذلل لغير الله، ويحصر تذالته في الله عزوجل ( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا )<sup>(١)</sup>

الجانب الثاني:

جانب نفي الإله غير الحق

وإذا انتقلنا إلى جانب النفي الذي تمثله كلمة التوحيد في جزئها الأول (لا إله) نجد القرآن الكريم والسنة النبوية قد أفاضوا فيه أيضا، فذكر العديد من الأمم التي أشركت مع الله، فأرسل الله أنبياءه إليهم، فدعوا أقوامهم للعودة إلى التوحيد، وترك ما يعبدون من دون الله فمن ذلك.

١- شرك قوم نوح عليه السلام، فقد جاء في الصحيح أنهم صوروا صور صالحهم

وعبدوها،<sup>(٢)</sup> فاستحقوا عقوبة الله، قال تعالى: (قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جَنبِ يَعْصُمِي مِنَ الْمَاءِ

قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ).<sup>(٣)</sup>

٢- شرك عاد قوم هود عليه السلام، (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ

قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ

وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ إِنِّي تَوَكَّلْتُ

عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)<sup>(٤)</sup>

٣- شرك ثمود قوم صالح عليه السلام، (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَعْوَرُوهُ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ

رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ

أَبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)<sup>(٥)</sup>

٤- شرك قوم إبراهيم عليه السلام، (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ

كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ

فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ

عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ

نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ

شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا

آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)<sup>(٦)</sup>

٥- شرك بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام، (قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ

(١) سورة الأعراف ، آية: ١٨٠.

(٢) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٦٦٧ ، وقد ذكرت النص النبوي كاملاً في بحث ( هنري برجسون ومنبع الدين .... ) فصل برجسون والدين الساكن ص ٢٥.

(٣) سورة هود آية ٤٣ .

(٤) سورة هود ، آية: ٥٣ - ٥٦ .

(٥) سورة هود ، آية: ٦١ - ٦٢ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية: ٥١ - ٦٨ .

أَلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١﴾

وقال عز من قائل في عبادة العجل ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْفَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفْلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٢﴾

وخرجت نتيجة هذا الإله على يد موسى عليه السلام في صورة: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٣﴾

٦- شرك بني إسرائيل في عهد عيسى عليه السلام، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قَائِلُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤﴾

وقال عز من قائل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَبٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٥﴾ وقال سبحانه ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾

٧- تكذيب قوم يونس لنبيها، وكشف العذاب عنهم لرجوعهم إلى الله، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً أَمْنَتْ فَفَعَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسُ لَمَّا أَمْنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخُرْزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٧﴾

٨- تكذيب قوم لوط لنبيها، فقلب الله عليها الأرض وجعل عاليها سافلها، فيها هو البحر الميت يشهد بمكان عذابهم، ﴿قَالُوا يَا لَوِطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨﴾

٩- تكذيب قوم إلياس لنبيها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ فَكذبوه فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٩﴾

١٠- تكذيب بني إسرائيل وحلول اللعنة عليهم لارتكابهم المنكرات، على لسان داود وعيسى عليهما السلام ﴿لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ

(١) سورة الأعراف ، آية: ١٣٨ .

(٢) سورة طه ، آية: ٨٧ - ٩١ .

(٣) سورة طه ، آية: ٩٧ - ٩٨ .

(٤) سورة المائدة ، آية: ١١٦ .

(٥) سورة التوبة ، آية: ٣٠ .

(٦) سورة المائدة ، آية: ٧٣ .

(٧) سورة يونس ، آية: ٩٨ .

(٨) سورة هود ، آية: ٨١ - ٨٣ .

(٩) سورة الصافات ، آية: ١٢٣ - ١٢٨ .

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾<sup>(١)</sup>  
 ١١- تكذيب أهل مدين لشعيب عليه السلام لنهايه إياهم عن عبادة غير الله، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ  
 أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ  
 الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ  
 وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لَا جُرْمَ لَكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ  
 صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٢﴾<sup>(٢)</sup>

١٢- ادعاء فرعون الألوهية وهلاكه بعذاب الله، وبيان موسى عليه السلام له حقيقة من  
 يستحق الألوهية، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ  
 وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ  
 لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي  
 فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأُظُنُّهُ مِنْ  
 الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ  
 وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾<sup>(٣)</sup>

١٣- شرك العرب عند رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد بُعث صلى الله عليه وسلم وهو  
 منغمسون في عبادة الأصنام، فقد وضعوا في جوف أظهر بيت على وجه الأرض وما حوله  
 ٣٦٠ صنما، ومن أعظم أصنامهم هبل واللات والعزى وذوالخلصة وما سواه، (أَفَرَأَيْتُمْ  
 اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ إِنْ هِيَ إِلَّا  
 أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى  
 الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ لِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٤﴾<sup>(٤)</sup>

ويتصورون شراكتها مع الله عز وجل، وأنها تشفع لهم عند الله، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا  
 نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ  
 كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٥﴾<sup>(٥)</sup>

ونفى القرآن أن يكون لله ولدٌ ينتمي إليه، لأن ذلك شركٌ بالله، قال تعالى ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ  
 وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦﴾<sup>(٦)</sup>

وكذب قريشاً ومعها العرب في نسبتها إلى الله البنين والبنات، وَعَدَّ ذَلِكَ شُرَكَاءَ، قال تعالى:  
 (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ  
 بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
 عَلِيمٌ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٧﴾<sup>(٧)</sup>  
 واني لاستشف الخبر من آخر الكتب المنزلة من عند الله عن أنواع الشرك التي ستحدث بعد

(١) سورة المائدة ، آية: ٧٨ - ٧٩ .

(٢) سورة هود ، آية: ٨٧ - ٩٠ .

(٣) سورة القصص ، آية: ٣٦ - ٤٠ .

(٤) سورة النجم ، آية: ١٩ - ٢٥ .

(٥) سورة الزمر ، آية: ٢ - ٣ .

(٦) سورة الزمر ، آية: ٤ .

(٧) سورة الأنعام، آية: ١٠٠ - ١٠٢ .

انتهاء نزوله، فمن أعظم ذلك عبادة اللذة والشهوة وما تطمح إليه النفس، دون النظر إلى حليته من حرمة، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١)

هذا وقد جمع دين الله الأخير الجانبين في كلمة الشهادة التي بها يدخل المرء في الإسلام ( لا إله إلا الله) نَفْيٌ لِلْإِلَهَةِ الْمَزِيْفَةِ وَاثْبَاتٌ لِلْإِلَهِ الْحَقِّ، الذي أمر الله الخلق بعبادته، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢)

### المنفذ الثاني: مناقشة إثبات الإله بالتجربة

ينفي برجسون وجود الإله بناءً على أنه لا يمكن إثباته بالتجربة، فيما أن التجربة لا تثبته فهو غير موجود، ويمكن رد ذلك من وجوه.

١- كم من حقيقة ثابتة تثبت وجودها دون أن تثبتتها التجربة، فالموت مثلاً حقيقة ثابتة يمكننا إدراك آثاره دون إدخاله في أبواب المعمل، نرى حركة الجسم قد توقفت فنحكم عليه بالموت، ولكن هل يمكن إجراء التجربة على الموت ذاته، لإثبات وجوده؟ فيها هو الموت مخلوق من مخلوقات الله، أثبتنا وجوده من غير تجربة، لأنه من عالم غير مادي، فما حقيقة وما مكوناته، كل ذلك نجهله، لا ندرك منه إلا توقف الحركة، وقد أثبتنا وجوده بالإجماع، ألا ترى قدرة الله وآثارها في كل مخلوقاته، فهي كافية لإثبات وجوده، فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ، ومن ينزل المطر، ومن أوجد أول إنسان على وجه الأرض؟.

والى مثل ذلك جاءت الإشارة القاطعة بوجود الله عز وجل، ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣) وقال عز من قائل ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُنْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ جَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤) وقال سبحانه ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥)

وقال سبحانه في تكبير الإنسان بخالقه وإلهه وإنه المتصرف في وجوده ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٦)

٢- يتفق علماء التجارب الماديين جميعاً أن الشيء لا يحمل في نفسه الأسباب الكافية لوجوده، إذن فلا بد له من مُوجِد، وهو الله، وإلى مثله لفت الله أنظار البشر، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٧) وما كتبه فرانك ألن البيولوجي الأمريكي تحت عنوان نشأة العالم هل هو مصادفة أو قصد، وما كتبه روبرت موريس بيدج الأمريكي مكتشف

(١) سورة الفرقان ، آية: ٤٣- ٤٤ .  
(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦ .  
(٣) سورة الروم، آية: ٤٦ .  
(٤) سورة الروم، آية: ٤٨ .  
(٥) سورة الروم، آية: ٥٠ .  
(٦) سورة المؤمنون ، آية: ١٢- ١٤ .  
(٧) سورة الطور، آية: ٣٥ .

الرادار عام ١٩٣٤م تحت عنوان اختبار شامل، وما كتبه إدوارد لوثر كيسيل أستاذ مادة الأحياء ورئيس ذلك القسم في جامعة سان فرانسيسكو، وغيرهم المثبات، فإن أبحاثهم العلمية تُجمَع على أن العلوم المادية كلما تقدمت أضافت أدلة جديدة على وجود الله. (١)

٣- آلات إجراء التجارب صنعت للعالم المادي، فالمادة ومشتقاتها يمكن إدخالها في أنبوب التجارب، لأنه ميدانها وصنع من أجلها، ولكن كيف نجرى التجربة على شيء غير مادي لا يدرك بالوسائل المادية ومصنوعاتها، أضف إلى ذلك أن العلوم المادية لا تستطيع أن تنفي وجود عوالم أخرى غير مادية، كالموت والحياة والحزن والألم...، يقول ماريت ستانلي عالم الطبيعة وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية تحت عنوان: درس من شجرة الورد ( إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفلح أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله، وعظمته ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا، وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته) (٢)

### المنفذ الثالث: مناقشة ( المجتمع أوجد الإله لحماية المحظورات الاجتماعية)

يعيد برجسون المحظورات الاجتماعية إلى وجود الحارس الذي أنشأه الدين لحمايتها، وإنه يعاقب المنتهك المتمرد، الذي يعتدي عليها.

كلاماً أشبه ما يكون بحجب نور الشمس في النهار بغمض العينين، فهل يستطيع المُغمِض إقناع الناس بعدم وجود النور، هكذا حارس برجسون الذي يعاقب الفرد المتمرد على المحظورات الاجتماعية، بل المحظورات الاجتماعية في الدينِ الحَقِّ من عند الله، يبلغها الرسل والأنبياء إلى الأمم، التي أرسلهم الله إليها.

فتطيف الكيل والميزان محظور اجتماعي، أرسل الله نبيه شعبياً إلى أهل مدين للتحذير منه، ﴿وَأَلِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْتَفِسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُّفْسِدِينَ﴾ (٣)

اللواط محظور اجتماعي، أرسل الله نبيه لوطاً للإنكار عليه، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (٤)

الزنا محظور اجتماعي، حرم الله تعاطيه وعاقب مرتكبه، ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَدَ

(١) بعض أبحاثهم جمعت في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) فارجم إليه.

(٢) كتاب الثقافة الإسلامية المستوى الأول لجامعة أم القرى وجامعة الطائف، لمجموعة مؤلفين ص ٣٢.

(٣) سورة هود، آية: ٨٤ - ٨٥.

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٦٠ - ١٦٦.

عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup> والسرقة محظور اجتماعي، نهى الله عن ارتكابه وعاقب مرتكبه، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقس على ذلك بقية المحظورات الفردية والاجتماعية، فكلها جاءت من عند الله عن طريق رسل الله، في الديانات الحقّة المنزلة من عند الله، لا ندخل للمجتمع في حظرها وإيجاد حارس يحميها، ويعاقب من ينتهكها، بل كل ذلك مرجعه إلى الله عزوجل، فلا مكان لإله أوجده المجتمع لحراسة المحظورات الاجتماعية.

### المنفذ الرابع: مناقشة (إثبات وجود الإله الآن ترف)

يرى برجسون أن إثبات وجود الإله ترف الآن، لأن تماسك أفراد المجتمع يتم عن طريق النظم والتشريعات، فلا حاجة إلى وجود إله يجمع أفراد المجتمع. كلام مبني على غير الحقيقة والواقع، فالنظم والتشريعات الوضعية تخيف الأفراد الذين يُكوّنون المجتمع، ولا تجمع بينهم إلا برفع العصا العقابية الغليظة، بل الذي يجمع بين أفراد المجتمع والشعوب والأمم هو العقيدة الصحيحة، فبالامتثال لها تتوحد الأفراد فيكوّنون المجتمعات والشعوب والأمم، وقد رأيت البشرية هذا المجتمع الإنساني الكبير واقعاً مشهوداً في عقيدة الإسلام، التي أنزلها الله على آخر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فقد جمعت هذه العقيدة بين العرب، والفرس، والهنود، والمصريين، والأفارقة.....، فأذابت الفوارق بالتشريع الموحد المنزل من عند الله عز وجل، فحاجة البشرية إلى وجود الإله وتطبيق تشريعاته الموحدة قائمة كحاجتهم إلى ذلك منذ وجود الإنسانية، وظهور الإنسان الأول على وجه الأرض، وستظل قائمة إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ولا يتحقق تماسك الأفراد والجماعات والشعوب والأمم إلا بإثبات الإله الحق، وتطبيق تشريعاته الموحدة على البشر أجمعين.

## الخاتمة والنتائج

لكل جهد ثمرة ونتيجة، يصل إليها صاحب الجهد، وقد توصلت في جهدي هذا إلى النتائج التالية:

- ١ - للتوجيه أثر ملموس، يبدأ الإنسان في اكتسابه منذ صباه ويستمر حتى الممات، وإن الأم والأب والمدرسة ومكان العمل من الموجهات الأساسية في الحياة.

(١) سورة النور، آية: ٢.  
(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

- ٢- وُلد برجسون وترعرع وشب وشاخ في عصر استقر فيه إنكار وجود الله، ومن هنا جاءت جهوده كلها تصب في مساندة هذا الاستقرار.
- ٣- منبع المعتقدات في الدين المنزل من عند الله هو الله عزوجل .
- ٤- النبوة اختيار يختارها الله لمن يشاء من عباده، فيكون رسولاً لهداية البشر.
- ٥- ظاهرة نزول الوحي حقٌّ ثابتٌ، لا مجال لإنكارها، وإن المنكر مكابِرٌ كمكابرة من ينكر وجود الشمس في هذه الحياة العاجلة.
- ٦- قَدَّرَ اللهُ مقادير الخلائق قبل خلقها، وأن المخلوقات - بما في ذلك الإنسان - تسير وفق ذلك المقدر المكتوب في اللوح المحفوظ، ولا يعني ذلك عدم الأخذ بالأسباب لعدم علمنا بالمكتوب.
- ٧- مفهوم الشرك غير محدد في صورٍ معينة، بل إنه قابلٌ للتمدد ووجود صورٍ جديدةٍ لم تكن في زمن من قبلنا، وحصره في عبادة الأرواح حصرٌ لمن لا يقبل الحصر.
- ٨- الطبيعة تعني مظاهر الكون، لا تملك الأسباب الكافية للإيجاد أو الإعدام، بل الموجد والمُفني هو الله، فالإحياء والإماتة من صفاته سبحانه عزوجل.
- ٩- يوم القيامة أتٍ لا محيد عنه، ووجود اللذة بين الناس غير كافٍ لنفيه، لأن اللذة وانهماك الناس في أمور الحياة من باب الامتحان، ولا يقود ذلك إلى نفي ذلك اليوم.
- ١٠- تصور الحياة الآخرة كتصور الصوفي لله، من أنه في الله، وأن الله فيه، مخالفٌ لقوانين الفطرة، فإن الناس يدركون الفرق بين الصانع والمصنوع، وبين المُنتج والإنتاج، فالأول فاعل والأخير أثر لذلك الفعل ونتيجته.
- ١١- وجود الله أعظم حقيقة أقرت بها البشرية، وما قاله برجسون لا يتجاوز الوهم والخيال البشري المُوجَّه إلى هدفٍ معين، أُريدَ به توجيه البشر إليه.
- ١٢- تعدد الإله شركٌ، ولا يقود إلى التحضر السليم الذي يخدم البشر، بل التحضر محصورٌ في توحيد الإله، وتوجيه جميع الناس إليه، لأنه مستغنٍ وغيره محتاجٌ إليه.
- ١٣- وجود الله لا يحتاج إلى دليل، لأن أدلة وجوده منثورة في كل ذرةٍ من ذرات الوجود ومظاهره المختلفة.
- ١٤- شهادة التوحيد ( لا إله إلا الله ) تثبت وجود الإله عن طريق:
- أ- جانب الإثبات للإله المتصرف في هذا الكون.
- ب- جانب نفي الألوهية عن سواه، فلا يصح صرف العبادة إلى غيره سبحانه عزوجل.
- ١٥- أعظم ما يثبت وجود الله أسماؤه وصفاته، وعدم الإشراك به، وإن الأمم السابقة تعرضت للهلاك بسبب إشراكها بالله.
- ١٦- التجربة وأنايبب المعامل لا تقود إلى نفي وجود الله، لأن عملها ينحصر في العالم المادي، فإن كانت عاجزةً عن إثبات حقيقة الموت والحياة فما ظنك بعجزها عن إثبات مَنْ خَلَقَ العوالم المادية وغير المادية.
- ١٧- المجتمع البشري لم يُوجد للإله لحماية المحظورات الاجتماعية، وإنما تلك المحظورات والمنهيات أنزلها الله على مبعوثيه لحماية عباده من الضرر الذي سيلحقهم متى انتهكوها.

١٨- إثبات وجود الإله ليس تَرْفَافاً، وإنما لحاجة الإنسان إليه، لأنه يملكه ويتصرف فيه، ويعرف ما يضره وما ينفعه.

## قائمة المراجع

- ١- القرآن الكريم.  
كتب السنة



- ٢- سنن الترمذي ( جامع الترمذي) للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ طبعة دار السلام، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م.
- ٣- صحيح البخاري لإمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري ( فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف الشيخ محب الدين الخطيب المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٠ هـ.
- ٤- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ طبعة دار السلام، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م.
- ٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ، دار الفكر، بيروت لبنان.
- المراجع العامة.**
- ٦- الأحياء ( كتاب الأحياء) المقرر للصف الثاني الثانوي الفصل الدراسي الأول، لمدارس المملكة العربية السعودية طبعة ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ.
- ٧- الأنجيل ( كتاب العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح) دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط دون تحديد مكان الطباعة، وسنة الطباعة، واسم المطبعة.
- ٨- بروتوكولات حكماء صهيون ( الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
- ٩- تفسير ابن كثير ( تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير طبعة مطابع المختار توزيع مكتبة دار التراث القاهرة دون تحديد سنة الطباعة.
- ١٠- التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري: أبو الحسن إسحاق الصوري مطبعة دار البيان القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨ = ١٣٩٨ هـ.
- ١١- التوراة العبرية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، دون تحديد السنة، أو مكان الطباعة، أو سنة الطباعة، أو اسم المطبعة.
- ١٢- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار لصفي الرحمن المباركفوري، طبعة دار السلام، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م دون ذكر المطبعة ومكان الطباعة.
- ١٣- الطاقة الروحية لهنري برجسون، ترجمة د/سامي الدروبي، الطبعة الثانية، ١٩٦٣ م، دار الفكر العربي دون تحديد مكان الطباعة .
- ١٤- الطاقة الروحية لهنري برجسون، ترجمة د/ علي مقلد، طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.
- ١٥- العقيدة في الله للدكتور عمر سليمان الأشقر، الطبعة الخامسة يونيو ١٩٨٤ م مكتبة الفلاح الكويت، دون تحديد اسم المطبعة.
- ١٦- قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين و زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م، دون ذكر مكان الطباعة.
- ١٧- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني طبعة دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

- ١٨- محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبي زهرة، طبعة دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، دون تحديد سنة الطباعة، ومكان الطباعة.
- ١٩- المدخل إلى ميتافيزيقيا لهنري برجسون ترجمة الدكتور محمد علي أبو ريان، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م، دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.
- ٢٠- المخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، للدكتور إبراهيم محمد البريكان، الطبعة السادسة ١٤٢٣ = ٢٠٠٣م دار ابن عفان للنشر والتوزيع القاهرة، دون تحديد اسم المطبعة.
- ٢١- مذاهب فكرية معاصرة للشيخ محمد قطب طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- ٢٢- المعجم الوسيط لمجموعة مؤلفين، إشراف عبد السلام هارون، المكتبة العلمية طهران دون تحديد سنة الطباعة.
- ٢٣- منبع الأخلاق والدين لهنري برجسون، ترجمة د/ سامي الدروبي و د/ عبد الله عبد الدائم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، طبعة ١٩٧١م دون تحديد مكان الطباعة واسم المطبعة.
- ٢٤- الموسوعة العربية الميسرة، لمجموعة مؤلفين بإشراف محمد شفيق غريال طبعة دار الشعب، القاهرة، صورة لطبعة ١٩٦٥م.
- ٢٥- نوابغ الفكر الغربي ٣ برجسون، للدكتور زكريا إبراهيم، دار المعارف، دون تحديد السنة أو مكان الطباعة أو اسم المطبعة.

### المراجع غير العربية

- Challaye Bergson Paris Editons Mellotte Collection Les nouvelle -1  
edition 1947.
- CF. La Gazette de Lausanne du 29 Ceptembar 1941 Une lettre de M -2  
me Henri Bergson.
- Cf.R.Berthelot un Pragmatisme Utilitaire. H. Bergson Paris 1946 -3
- Energie Spirituelle: H-Bergson, Paris Editons Mellotte Collection Les-4  
nouvelle edition 1949.
- Evolution Create: H. Bergson , Paris Edition 1947 -5
- H. Bergson: Essai sur Les Donnees Immediates le Conscience. -6
- Raissa Maritain: Henri Bergson Souvenirs, in Bergson Neuchatal,-7  
1943

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة و فيها:
٢	أصناف الباحثين في فكر برجسون
٣	أسباب اختيار البحث وخطته
٥	الفصل الأول: برجسون حياته وعصره
٦	ولادته وطفولته
٦	نشأته العلمية
٧	عمله
٨	مكانته بين أقرانه ومنصبه
٩	مؤلفاته
١٠	أسلوبه في أبحاثه
١١	وفاته
١٢	عصر برجسون ومميزاتها
١٤	الفصل الثاني: برجسون ومعتقدات الدين الساكن
١٥	تعريف العقيدة
١٥	منبع المعتقدات في الدين الساكن
١٥	مناقشة منبع المعتقدات في الدين الساكن
١٦	نفي النبوة
١٧	مناقشة نفي النبوة
١٧	نفي نزول الوحي
١٧	مناقشة نفي نزول الوحي
١٨	نفي التقدير الإلهي
١٨	مناقشة نفي التقدير الإلهي
١٨	مفهوم الشرك
١٩	مناقشة مفهوم الشرك
١٩	الطبيعة تحيي وتميت
٢٠	مناقشة الطبيعة تحيي وتميت
٢٠	نفي وجود يوم القيامة
٢٠	مناقشة نفي وجود يوم القيامة
٢١	نفي الحياة الآخرة نعيمها وعذابها
٢٢	مناقشة نفي الحياة الآخرة نعيمها وعذابها
٢٥	الفصل الثالث: برجسون وعقيدة وجود الله
٢٦	التعريف بكلمة ( الله )

٢٦	عقيدة وجود الله
٢٧	تعدد الإله
٢٨	تعدد الإله هو الحضارة
٣٠	مناقشة: وجود الله وتعدد الإله
٣١	جانب الإثبات للإله الحق
٣٣	جانب نفي الإله غير الحق
٣٦	مناقشة: إثبات الإله بالتجربة
٣٧	مناقشة: المجتمع أوجد الإله لحماية المحظورات الاجتماعية
٣٨	مناقشة: إثبات وجود الإله الآن تَرَفُّ
٣٩	الخاتمة والنتائج
٤١	قائمة المراجع
٤٣	المحتويات ( الفهرس )